حقوق العلماء في السنة النبوية

أعدَّه

د. عاصم بن عبدالله القريوتي

الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العظيم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] والصلاة والسلام على نبيه الأمين، الرَّحمة المهداة المبعوث رحمةً للعالمين، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، ورضي الله عن سائر أصحابه الأخيار الذين بَلَّغوا ما عَلِموه عن نبيهم ﷺ وبذلوا الغالي والنفيس دفاعاً وذبًّا عن شرع الله الحنيف، وبعد:

فإن الله عزَّ وجَّل خلق الخلق لأمر عظيم، ألا وهو عبادته سبحانه وتعالى، إذ يقول عزَّ وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولما كانت العبادة جامعةً لكل ما يحبه الله عزَّ وجل من الأقوال والأعمال، ما ظهر منها وما بطن؛ كان لزاماً أن نعلم الواجب منها علينا.

ولِما للعلماء من منزلةٍ رفيعةٍ ومكانةٍ عظيمةٍ في دين الإسلام يجدر التذكير بها، وخصوصاً في هذا الزمن الذي تعددت فيه المشارب والمناهج والموارد، عبر الوسائل المتعددة، وأصبح من الناس من يتصدر أمور الدين بغير أهلِيّةٍ وتمكُّنٍ، ويماري العلماء الربانيين أهل الحق والبصيرة، بكلام واهٍ أوهى من خيوط العنكبوت، باسم حرية الرأي والتعبير؛ كان لزاماً أن نعلم مكانة العلماء وحقوقهم في دين الإسلام ومن خلال سنة سيد الأنام، مع التذكير بما كان عليه سلفنا الصالح - رحمهم الله - في ذلك.

ولقد غاب عن بال هؤلاء وأمثالهم قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وأنَّ العلم لا يؤخذ إلاَّ عن أهله ومِنْ أصحاب الاختصاص، فهذا الإمام المبجَّل

أحمد بن حنبل - رحمه الله - إمام أهل السنة والجماعة عندما سئل عن القطيعاء قال: «سلُوا أصْحَاب الغَريب، فإنِّي أكره أنْ أتكلَّم في قول رَسُول الله ﷺ بالظنِّ»[١].

ولقد أبدع الإمام الآجري - رحمه الله - حين بيَّن مكانة العلماء حينما قال:

«فإن الله عز وجل، وتقدست أسماؤه، اختص من خلقه من أحب، فهداهم للإيمان، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب، فتفضل عليهم، فعلمهم الكتاب والحكمة وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل وفضلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان وأوان، رفعهم بالعلم وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح. فضلهم عظيم، وخطرهم جزيل، ورثة الأنبياء، وقرة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع، مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة، هم أفضل من العباد، وأعلى درجة من الزهاد، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل، لا يتوقع لهم بائقة، ولا يخاف منهم غائلة، بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون، جميع الخلق إلى علمهم محتاج، والصحيح على من خالف بقولهم محجاج. الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم محرمة، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عند، ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليه، حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدر، وما ورد على أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به فبقولهم يعملون، وعن رأيهم يصدرون، وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم، فبقول العلماء يحكمون، وعليه يعولون، فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة،

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٥٩، وتدريب الرَّاوي في شرح تقريب النَّواوي (٢/ ١٨٦).

وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا»[(١)].

ويبيِّن الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - سِمَةَ العلماء وأنَّهم موقعون عن رب العالمين فيقول:

«ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه؛ لم تصحّ مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلاَّ لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالماً بما يبلِّغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السَّنِيَّات، فكيف بمنصب التوقيع عن ربِّ الأرض والسَّموات!»[(٢)].

ولقد اعتنى الإسلام بإنزال الناس منازلهم، وخاصةً أهل العلم منهم، وفي التنزيل الحميد: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وفي الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ».

وإنَّ علماء الشريعة شيوخ الأمة، ولهم مقام الأبوة في الدين، إذ يقول الإمام النووي - رحمه الله - في معرض بيانه لأهمية معرفة الفقيه والمتفقه لشيوخه وأنَّ ذلك من المطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات، وتقبح به جهالتها:

---

(١) مقدمة أخلاق العلماء للآجري.

(٢) سيأتي تخريجه مفصلاً.

«إنَّ شيوخه فى العلم آباءٌ في الدين، وصلةٌ بينه وبين رب العالمين، وكيف لا يقبح جهل الإنسان بالوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنَّه مأمورٌ بالدعاء لهم، وبِرِّهم، وذكر مآثرهم، والثناء عليهم، وشكرهم»(١).

وللعلماء حقوق وواجبات، وإن سِيَر السلف - رضوان الله عليهم - عطرةٌ بتعظيم العلماء والتأدب معهم(٢)، وإعطائهم حقهم ومكانتهم، بل وزجر من أخلَّ بذلك، فنجد من عبارات الثناء والمدح على العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء وغيرهم من الألقاب الممنوحة الكثير من ذلك، فانظر - رعاك الله - على سبيل المثال لا الحصر تقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وتذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء للذهبي.

ونجد من الألقاب التي أطلقت على العلماء: العلامة، والحجة، والمحدث، والفقيه، والمفسر، والمسند، والحاكم، وشيخ الإسلام، ونحو ذلك مما هو مسطورٌ في كتب التراجم والسير، بل قد تجتمع في بعض العلماء عدة ألقاب.

بيد أنه يجب أن نعلم مَن الجدير بهذه الألقاب، ومَن الذي يحقُّ له إطلاقها وأشباهها مما يعطي الصورة للسامع أنه من أهل العلم، وإذا نظرنا إلى كتب التراجم والسير نجد أنَّ الذي يطلقها هم أهل العلم وكبار الأئمة، فنجد ثناء كبارهم من التابعين وأتباعهم وأئمة الجرح والتعديل وأصحاب التصنيف في العلوم من أهل

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ١٨).

(٢) ينظر لذلك: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، و«الفقيه والمتفقه» كلاهما للخطيب، ومقدمة «المجموع» للنووي، و«تذكرة السامع والمتكلم» لابن جماعة، و«حلية طالب العلم» للدكتور بكر أبي زيد وشرحها العلامة الشيخ ابن عثيمين، و«الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام» لمحمد أحمد إسماعيل المقدم، وغيرها.

الاختصاص هم الذين يسطِّرون عبارات الثناء والمدح وما يصاحبها من ألقابٍ.

ولهذا فإنَّ منْ أكبر أسباب ما وقعت فيه الأمة من فتنٍ ومحنٍ في هذه الآونة؛ إنما كانت نتيجة إعطاء غير المؤهلين علميًّا ألقاباً لا يستحقونها وإنزالهم منازل هم في الحقيقة عن منأىً باتصافهم بدلالاتها.

ولقد رأينا نتيجة أخذ العلم وتلقِّيه عن غير العلماء، وأخذه عن المغمورين والمجاهيل، والعاكفين حول الانترنت وفي الكهوف من المخاطر الشديدة، والمفاسد العظيمة على الدين والدنيا، ناهيك عن رضا هؤلاء بهذه الألقاب وهم بعيدون عن حقيقتها، ويصدق فيهم قول الله عز وجل: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، وقول رسول الله ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»(١).

وإنَّ معرفة العلماء من الحرص على معرفة مصدر التلقي وسلامته، وهو أمرٌ لازمٌ، حيث كان سلفنا يسألون عن الإسناد لأنَّه من الدين، وكانوا يقولون: «إنَّ هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم»(٢).

وذلك لأنَّ علماء الشريعة صِمَام الأمان للأمة بكل طبقاتها، وهم من حفظ الله لدينه، إذْ بهم تحيا السنن، ويتبصَّر الناس بأمور دينهم، وتتحقَّق المصالح العظيمة للعباد، وفي ذهابهم وقِلَّتِهم الخسران المبين باختفاء ذلك النور والمصباح المنير، وببزوغ رؤوسٍ جاهلةٍ تتخبَّط بغير هدىً وبصيرةٍ، فتقع وتوقع في الفتن وعظيم المِحَن.

---

(١) رواه البخاري: كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة (٥٢١٩)، ومسلم: في اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره... (٢١٣٠) عن أسماء رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (٢٣) عن محمد بن سيرين رحمه الله.

وقد قسَّمت هذا البحث الذي أسميته «حقوق العلماء في السنة النبوية» إلى ستة فصولٍ وخاتمةٍ:

الفصل الأول: بيان من هم العلماء، وأنَّهم هم المؤهلون لإصدار الفتاوى والأحكام الشرعية.

الفصل الثاني: فضل العلماء ومكانتهم في الكتاب والسنة.

الفصل الثالث: حقوق العلماء على الأمة في السنة.

الفصل الرابع: أهمية الرجوع للعلماء، وضرورة الارتباط بعلماء أهل السنة والجماعة.

الفصل الخامس: خطر القدح في العلماء وانتقاصهم.

الفصل السادس: أسباب التقصير في حقوق العلماء، والآثار السلبية الناتجة عنه.

والله أسأل أنْ يوفقنا جميعاً لأداء ما أوجب علينا وأرشد وأمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأنْ يكتب الأجر والمثوبة لسلفنا الأخيار، ولعلمائنا الأبرار، ولراقم هذه السطور، ولكل منْ كان سبباً في تبصير الناس بدينهم، وأنْ يتغمد من قضى نحبه من علمائنا بواسع مغفرته ورضوانه، وأنْ يحفظ ويبارك لنا بمن بقي منهم، وأنْ يرزق الأمة الأدب معهم والاستفادة منهم، وأنْ يحفظنا جميعاً من مضلات الفتن، وأنْ يجعلنا مفاتيح لكل خيرٍ مغاليق لكل شر.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول
بيان مَن هم العلماء
وأنهم المؤهلون لإصدار الفتاوى والأحكام الشرعية

إنَّ للعلماء سمات وعلامات يميَّزون بها عن غيرهم، وليس المقياس في معرفة من هو العالم فصاحة اللسان وقوة التأثير والبيان، وكثرة الحضور له، إذ هذا وحده ليس دليلاً على ذلك، ولأنَّ ذلك ينبغي أنْ يكون مبنيًّا على هدىً وبصيرةٍ مستمدةٍ من الوحيين العزيزين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفق ما كان عليه السلف المشهود لهم بالخيرية في قوله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[١].

قال الإمام ابن رجب - رحمه الله -: «فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيُّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد، والرقائق، والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف في معانيه وتفهمه ثانياً، وفي ذلك كفايةٌ لمن عقل، وشغلٌ لمن بالعلم النافع عني واشتغل»[٢].

وَقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - لِبَعْض أَهْلِ الْعِلْم:

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ   قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٠)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود - رضي الله عنهما - وله طرق عديدة، وقد عدَّه الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة «الإصابة» حديثاً متواتراً.

(٢) فضل علم السلف، ص ٦.

مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً | بَيْنَ النُّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيِ سَفِيهِ
كَلَّا وَلَا نَصْبُ الْخِلَافِ جَهَالَةً | بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ
كَلَّا وَلَا رَدُّ النُّصُوصِ تَعَمُّدًا | حَذَرًا مِنَ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ
حَاشَا النُّصُوصَ مِنَ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ | مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْوِيهِ(١)

وأبان الحافظ ابن رجب - رحمه الله - أَنَّ مَنْ كان علمه علماً يمكن الانتفاع به فهو المتلقي عن الكتاب والسنة، وأَنَّ من كان متلقياً من غير ذلك فهو غير نافعٍ في نفسه، ولا يمكن الانتفاع به، بل ضره أكثر من نفعه(٢).

وأما علم الكلام فطالما حذَّر منه العلماء، إذ ليس هو من العلم المحمود، ولذا قال الشافعي- رحمه الله -: «حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام»(٣).

وقد قال الإمام ابن حبان - رحمه الله - في حديث «العلماء ورثة الأنبياء»: «في هذا الحديث بيان واضح أَنَّ العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا، هم الذين يعلمون علم النبي ﷺ، دون غيره من سائر العلوم، ألا تراه يقول: «العلماء ورثة الأنبياء «والأنبياء لم يورِّثوا إلا العلم، وعلم نبينا ﷺ سنته؟ فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء»(٤).

وذكر الحافظ ابن رجب - رحمه الله - أَنَّ العلم الذي لا ينفع يكسب صاحبه

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١ / ١٠٠)، وانظر مقدمة تحقيق «سير أعلام النبلاء»، ص٦٦.
(٢) فضل علم السلف على الخلف، ص ٨.
(٣) رواه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢ / ١٩٧ح٩١٧).
(٤) الإحسان (١ / ١٧١).

الزهو والفخر والخيلاء، وطلب العلو والرفعة في الدنيا، والمنافسة فيها، وطلب مباهاة العلماء، ومماراة السفهاء، وصرف وجوه الناس إليه، ومن علامات ذلك عدم قبول الحق والانقياد إليه، والتكبر على من يقول الحق، خصوصاً إنْ كان دونهم في أعين الناس، والإصرار على الباطل خشية تفرُّق قلوب الناس عنهم بإظهار الرجوع إلى الحق، وربما أظهروا بألسنتهم ذمَّ أنفسهم واحتقارها على رؤوس الأشهاد، ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون فيمدحون بذلك، وهو من دقائق أبواب الرياء، كما نبَّه عليه التابعون فمن بعدهم من العلماء، ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه مما ينافي الصدق والإخلاص، فإنَّ الصادق يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه من سوء الخاتمة، فهو في شغلٍ شاغلٍ عن قبول المدح واستحسانه».

ثم قال: «وأما منْ علمه غير نافعٍ فليس له شغلٌ سوى التكبر بعلمه على الناس، وإظهار فضل علمه عليهم، ونسبتهم إلى الجهل وتَنَقُّصهم، ليرتفع بذلك عليهم، وهذا من أقبح الخصال وأرداها.

ومَنْ علمه غير نافعٍ إذا رأى لنفسه فضلاً على منْ تقدمه في المقال وتشقق الكلام، ظنَّ لنفسه عليهم فضلاً في العلوم أو الدرجة عند الله، لفضلٍ خصَّ به عمن سبق، فاحتقر من تقدمه واجترأ عليه بقلة العلم، ولا يعلم المسكين أنَّ قلة كلام من سلف إنَّما كان ورعاً وخشيةً لله، ولو أراد الكلام وإطالته لما عجز عن ذلك، كما قال ابن عباس- رضي الله عنه - لقوم سمعهم يتمارون في الدين: «ما علمتم إنَّ لله عباداً أسكتهم خشية الله من غير عيٍّ ولا بكم، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء العلماء بأيام الله غير أنهم إذا تذكَّروا عظمة الله طاشت عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استفاقوا من ذلك يسارعون إلى الله بالأعمال

الزاكية، يعدون أنفسهم من المفرطين وأنهم لأكياس أقوياء ومع الظالمين والخاطئين وأنهم الأبرار برآء إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له بالقليل، ولا يدلون عليه بالأعمال هم حيث ما لقيتهم مهتمون مشفقون وجلون خائفون»(١).

وقال أيضاً: «وربما ادَّعى بعض أصحاب هذه العلوم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلاَّ طلب التقدُّم في قلوب الناس من الملوك وغرهم، وإحسان ظنِّهم بهم وكثرة أتباعهم، والتعظم بذلك على الناس»(٢).

وأما أصحاب العلم النافع فهم العلماء الربانيون الذين يُذَكِّرُونك بالله ونبيه، لاستدلالهم بكلام الله وكلام رسوله ﷺ، والعلماء هم من تراه حجةً يوم القيامة.

ولقد عقد الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله - في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» باباً قال فيه: «باب منْ يستحق أنْ يسمَّى فقيهاً أو عالماً حقيقةً لا مجازاً، ومن يجوز له الفتيا عند العلماء فيمن يستحق أنْ يسمى عالماً».

كما ذكر الحافظ ابن رجب - رحمه الله - علامات وميزات أهل العلم النافع(٣) بأنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً، ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح، ولا يتكبرون على أحدٍ، إذْ أهل العلم النافع كلَّما ازدادوا في هذا العلم ازدادوا تواضعاً للَّه وخشية وانكساراً وذلاًّ.

وأنَّ صاحبه لا يدَّعي العلم ولا يفخر به على أحدٍ، ولا ينسب غيره إلى الجهل إلاَّ منْ خالف السنة وأهلها، فإنَّه يتكلم فيه غضباً لله، لا غضباً لنفسه ولا قصداً لرفعتها على أحدٍ.

---

(١) فضل علم السلف على الخلف، ص ٨-٩.
(٢) المرجع السابق، ص ٨.
(٣) المرجع السابق، ص٨ - ٩.

وأمَّا مَنْ كان علمه غير نافعٍ فليس له شغلٌ سوى التكبر بعلمه على الناس، وإظهار فضل علمه عليهم، ونسبتهم إلى الجهل وتَنَقُّصهم، ليرتفع بذلك عليهم، وهذا من أقبح الخصال وأرداها.

ومن علاماتهم أيضاً الهرب من الدنيا، وأولى ما يهربون عنه منها الرِّياسة والشُّهرة والمدح، فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات أهل العلم النافع، فإنْ وقع شيءٌ من ذلك - يعني الرياسة أو الشهرة أو المدح - من غير قصدٍ واختيارٍ كانوا على خوفٍ شديدٍ من عاقبته، وخشوا أنْ يكون مكراً واستدراجاً، كما كان الإمام أحمد - رحمه الله - يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبُعد سيطه.

وأهل العلم النافع يسيئون الظن بأنفسهم، ويحسنون الظنَّ بمن سلف من العلماء، ويقرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم، وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها، وما أحسن قول أبي حنيفة وقد سئل عن علقمة والأسود: أيهما أفضل؟ فقال: والله ما نحن بأهلٍ أنْ نذكرهم، فكيف نفضِّل بينهم؟و كان ابن المبارك - رحمه الله - إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:

لا تُعرِض بِذِكرِنا مَع ذِكرِهِم لَيسَ الصحيحُ إِذا مَشى كَالمقعَدِ[١].

وهم مَنْ جمع بين الفضيلتين؛ بين الحفظ للشريعة الإسلامية والفهم فيها، فهو يحفظ نصوصها؛ يحفظ القرآن والسنة، وهو في الوقت نفسه يفهم مراد الشارع من هذه النصوص، فيُوفَّق لموافقة الصواب، وهذا القسم هو الذي أشار إليه حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ

(١) فضل علم السلف على الخلف، ص ٩.

وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ..»[١]، إذ إنَّ قوله ﷺ: «فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ»كنايةٌ عن الحفظ، وقوله: «فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ «كنايةٌ عن الفهم وعن النفع، فهو منتفعٌ في نفسه نافعٌ غيره.

وهم فقهاء الأمة ممن أراد الله بهم خيراً، فعن مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ «[٢]، والفقه كما قال ابن الأثير رحمه الله:

«العلم والدراية في الأصل، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة وخاصة بعلم الفروع، فإذا قيل: فقيهٌ، علم أنَّه العالم بعلوم الشرع، وإنْ كان كلُّ عالم بعلم فقيهاً، فقه بفتح القاف الرجلُ إذا علم، وفقه بالضم إذا صار فقيهاً، وتفقَّه إذا تعاطى ذلك، وفقَّهه الله أي عرَّفه وبصَّره»[٣].

ومن سبل معرفة العالم أنَّه يَسأل أهل العلم في طبقته، ويَرجع إلى كلام العلماء قبله، وأنْ يعتني بالأدلة والنصوص ويتثبت من صحة الأحاديث، وأنْ يشهد له أهل العلم والمعرفة والبصيرة من أهل السنة والجماعة، إذْ هم الميزان في ذلك، يقول الإمام مالك – رحمه الله –: «لا ينبغي للرجل يرى نفسه أهلاً لشيءٍ حتى يسأل من كان أعلم منه، وما أفتيت حتى سألت ربيعة ويحيى بن سعيد فأمراني بذلك، ولو نهياني لانتهيت»[٤].

وقال أيضاً: «ليس كل من أحبَّ أنْ يجلس في المسجد للتحديث والفتيا جلس،

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم (٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب مثل ما بعث النبي من الهدى والعلم (٢٢٨٢).

(٢) رواه البخاري:كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين (٧١)، ومسلم:كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (١٠٣٧).

(٣) جامع الأصول (٩/ ١١٦)، وانظر: «النهاية في غريب الحديث»(٣/ ٤٦٥).

(٤) انظر مقدمة «المجموع للنووي» (١/ ٤١)، و»أعلام الموقعين»(٥/ ٨٠).

حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإنْ رأوه لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم لذلك»[١].

ومِنْ سمات طلاب العلم أنهم تكون لهم مجالسةٌ للعلماء، كما قال الإمام مالك - رحمه الله -: «لا يكتب العلم إلاَّ ممنْ يحفظ، ويكون قد طلب، وجالس الناس، وعرف وعمل، ويكون معه ورع»[٢]. ومنْ ذلك أنَّه إذا سئل أحدهم عن مسألةٍ وكان لا يعلمها قال: لا أعلم أو أراجع أو نحو ذلك.

وقد بَيَّنَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - العالم بقوله: «.. ومَنْ له في الأمة لسان صدقٍ عامٍ بحيث يثنى عليه، ويُحمد في جماهير أجناس الأمة، فهؤلاء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى».

وثمت أمرٌ آخر[٣] وهو هل يلزم أنْ يكون العالم كبير السن؟ وهذا وإنْ لم يكن شرطاً في بلوغ مرتبة العلماء إلا أنَّه في هذا الزمن ينبغي أنْ يُجعل شرطاً في المسائل المستجدَّة والنوازل والقضايا المعاصرة؛ لما يترتَّب على أخذ العلم عن الصغار من المفاسد الكثيرة، ولعدم قُدرة كثيرٍ من الناس اليوم على تمييز العالِم منْ غيره، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «لا يزال الناس بخيرٍ ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم، فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا»[٤].

وسئل الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - عن معنى هذا الأثر فأجاب: «يريد لا يزال الناس بخيرٍ ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث، - ثم يعلل هذا التفسير فيقول -: لأنَّ الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحِدَّتُه وعجلته وسفهه،

---

(١) تدريب المدارك (١/ ٣٤).

(٢) إسعاف المبطأ (١/ ١١).

(٣) نبه على هذا الأمر الشيخ عبد السلام البرجس رحمه الله في «من هم العلماء؟».

(٤) رواه ابن الأعرابي في معجمه (٢/ ٤٠٥)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٧١).

واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشُّبْهَة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطَّمَع، ولا يستزل الشيطان استزلال الحَدَث، ومع السّن الوقار والجلال والهيبة، والحَدَث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أُمِنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك»(١).

العلماء هم المؤهلون لإصدار الفتاوى والأحكام الشرعية:

إنَّ مما لا شك فيه أنَّ الفتوى والأحكام الشرعية مناطةٌ بالعلماء الذين هم أهل الذكر، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وكلمة الذكر شاملةٌ للكتاب الكريم وللسنة النبويَّة المبيِّنة والموضحة لها؛ لقوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ومما يدل على أهمية سؤال من علم عنده ما جاء في حديث جَابِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِي ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ أَلاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ» أَوْ «يَعْصِبَ» شَكَّ مُوسَى – وهو ابن عبد الرحمن الأنطاكي شيخ بي داود – «عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»(٢).

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في »نصيحة أهل الحديث« ص٣٠، و»الفقيه والمتفقه«(٧٧٢).

(٢) رواه أبو داود: كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم (٣٣٦) واللفظ له، وابن ماجه: كتاب الطهارة، باب في المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل (٥٧٢)، وابن الجارود: كتاب التيمم ١٢٨، وابن حبان: الإحسان (٤ / ١٤٠ح١٣١٤)، وابن خزيمة (١ / ١٣٨ح٢٧٣)، والحاكم في: «المستدرك» ١ / ٢٨٥ح٦٣٠و٦٣١) وغيرهم، وصححه الذهبي في «التلخيص على شرط الشيخين».

وقال الإمام الشاطبي - رحمه الله -: «.. السائل لا يصح أنْ يسأل منْ لا يعتبر في الشريعة جوابه؛ لأنَّه إسنادُ أمرٍ إلى غير أهله، والإجماع على عدم صحة مثل هذا، بل لا يمكن في الواقع؛ لأنَّ السائل يقول لمن ليس بأهلٍ لما سئل عنه: «أخبرني عما لا تدري! وأنا أسند أمري لك فيما نحن بالجهل به على سواء »، ومثل هذا لا يدخل في زمرة العقلاء إذْ لو قال له: «دلَّني في هذه المفازة على الطريق في الموضع الفلاني»، وقد علم أنهما في الجهل بالطريق سواءٌ؛ لعُدَّ من زمرة المجانين، فالطريق الشرعيُّ أوْلى؛ لأنَّه هلاكٌ أخروي»[1].

وإنَّ من أخطر القضايا التي هي من خواص العلماء بل كبارهم قضية الكفر والتكفير، إذْ إنها من الأحكام الشرعية، كالتحليل والتحريم والإيجاب، وليست من الأحكام التي يستقلُّ العقل بها، ولقد ذكر أهل العلم أنَّ هذا الباب يكون للعالم الربانيِّ الذي تتوفر فيه شروط المجتهد أو القاضي؛ لأنَّ تحقيق اتصاف مسلمٍ بمكفّرٍ يحتاج إلى نظر عالمٍ فقيهٍ يعرف الأقوال والأفعال المكفِّرة في الشرع، ويعرفُ شروط التكفير وموانعه، وما يعذر به وما لا يعذر، ويكون مُلِمًّا بمواقف أئمة السلف من المخالفين، وعدم التكفير إلاَّ بعد قيام الحجة، وهذا بابٌ لا يصح أنْ يليه أفراد الناس.

فإذا كان الحكم في مسائل الأحكام كالبيوع والشركات والأوقاف والوصايا والمواريث والجنايات وغيرها من مسائل الحلال والحرام؛ يكون الحكم فيها للمختصِّ في أحكام القضاء، أو ممنْ هو مِنْ أهل الفتوى، فكيف بالحكم على مسلمٍ بالكفر أو الردَّة؟ فلا شكَّ أنَّه آكد لأنَّ الخطأ فيه أعظم؛ لأنَّه يبحثُ في أصل الأيمانٌ

(١) انظر فتاوى الأزهر (١ / ٢).

وثبوته من عدمه، ولما يترتب عليه من أحكام كثيرةٍ، منها ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[١].

ويقول أبو حامد الغزالي – رحمه الله تعالى –: «إنَّ التكفير هو صنيع الجهال، ولا يسارع إلى التكفير إلا الجهلة، فينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلاً، فإنَّ استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة، المصرحين بقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» خطأٌ، والخطأ في ترك ألف كافرٍ أهون من الخطأ في سفك محجمةٍ من دم مسلم»[٢].

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ – نفع الله به –: «التكفير أمرٌ خطيرٌ، يجب على المسلمين عدم الخوض فيه، وتركه لأهل العلم الراسخين»[٣].

وقال معالي الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى–: «ليس من حق كل أحد أن يطلق بالتكفير على الجماعات أو على الأفراد، فالتكفير خطيرٌ، ولا يجوز لكل أحدٍ أنْ يتفوَّه به في حقٍّ غيره، إنَّما هذا من صلاحيات المحاكم الشرعية، ومِنْ صلاحيات أهل العلم الراسخين في العلم الذين يعرفون الإسلام، ويعرفون نواقض الإسلام ويعرفون الأحوال، ويدرسون واقع الناس والمجتمعات، فهم أهل الحكم بالتكفير وغيره، وأمَّا الجهال وأفراد الناس وأنصاف المتعلمين ليس من حقهم إطلاق التكفير على الأشخاص أو على الجماعات أو الدول لأنَّهم غير مؤهلين لهذا الحكم»[٤].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٦١٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه يا كافر قد باء بها أحدهما (ح٦٠).
(٢) أي مقدار محجمة من دم مسلم، انظر «التكفير أخطاره وضوابطه «ص ٤٠.
(٣) لقاء صحيفة الشرق الأوسط في ٢٧/ ١/ ١٤٢٢هـ العدد: ٨١٨٠.
(٤) المنتقى من فتاويه (١/ ١١٢).

وقال أيضاً: «إنَّما يطلق التكفير - جزافاً - الجهلة الذين يظنون أنَّهم علماء، وهم لم يتفقَّهوا في دين الله عز وجل، وإنَّما يقرؤون الكتب، ويتتبَّعون العثرات، ويأخذون مسميات التفسيق، ويطلقونها بغير علمٍ على أصحابها، أو منْ يستحقها؛ لأنَّهم لا يعرفون وضع هذه الأمور في موضعها لعدم فقههم في دين الله عز وجل، ومثلهم في ذلك كمثل إنسانٍ جاهلٍ، أخذ سلاحاً وهو لا يعرف كيف يستخدمه؛ فهذا يوشك أنْ يقتل نفسه وأهله وأقاربه؛ لأنَّه لا يحسن استعمال هذه الأدلَّة»(١).

وإذا تقرَّر أنَّ إنفاذ حكم التكفير موكولٌ إلى خاصَّة أهل العلم، وليس إلى عامة الناس، ولا إلى أفراد طلبة العلم؛ فكيف بأنصاف المتعلمين أو المتعالمين؟ فعلى كل مسلم الإمساك عن الخوض في التكفير، وعلى من وقع في شيءٍ من ذلك التوبة وأنْ يَكُفَّ لسانه عن التكفير، وأنْ يتعلم قبل أن يتكلم، وأنْ لا يتكلم فيما لا يعلم؛ لعظم حرمة أخيه المسلم؛ لما سبق في الحديث: «فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».

والعلماء الربَّانيُّون هم العلماء بحقٍّ، ويرون وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، ولا يرون الخروج عليهم، وهذا من اعتقاد السلف ونهجهم، إذْ يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله -: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا، وإنْ جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضةً ما لم يأمروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»(٢). كما أنَّ من صفاتهم(٣) نصح الولاة بالحكمة، وعدم التشنيع عليهم؛ لما ثبت عن عياض بن خلف، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَن أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْده علانيةً،

---

(١) محاضرة بعنوان «ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير وضوابطها».
(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٢٨.
(٣) من محاضرة بعنوان «ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير وضوابطها».

ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإنْ قبل منه فذاك وإلاّ كان قد أدَّى الذي عليه»(١).

وفي الدرر السنية: «وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام؛ فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس، واعتقادُ أنَّ ذلك مِنْ إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، وهذا – أي: الاعتقاد – غلطٌ فاحشٌ وجهلٌ ظاهرٌ، لا يعلم صاحبه ما يترتّبُ عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نوَّر الله قلبه وعرف طريقة السلف وأئمة الدين».

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: آمر إمامي بالمعروف؟ قال: «إنْ خشيت أنْ يقتلك فلا، فإنْ كنت ولا بدَّ فاعلاً ففيما بينك وبينه»، وزاد أبو عوانة – أحد رواة الأثر –: «ولا تغتب إمامك»(٢).

وكان نصح الولاة بهذه الطريقة هو هدي السلف، فعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ – رضي الله عنه – أنه قِيلَ لَهُ: «أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ»(٣).

ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في شرحه لِمعنى: «لا أحب أن أكون أول من فتحه «يعني لا أكلِّمه إلاَّ مع مراعاة المصلحة بكلام لا يهيج به فتنةً «، ونقل عن القاضي عياض – رحمه الله – قوله: «مراد أسامة أنَّه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في» السنة»(١١٣٠) وفي مجمع الزوائد (٥/ ٢٢٩): رجاله ثقاتٌ وإسناده متصل.
(٢) التفسير من «سنن سعيد بن منصور» ح ٧٩٨ والبيهقي في «شعب الإيمان»ح ٧٣٣٠.
(٣) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، (٣٢٦٧)، ومسلم: كتاب الزهد والرقاق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (٢٩٨٩).

على الإمام، لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سراً، فذلك أجدر بالقبول».

من سمات العلماء سيرهم على نهج الأنبياء:

ما دام العلماء لهم المنزلة الرفيعة والمكانة العلية إذْ هم ورثة الأنبياء؛ فحريٌّ بنا أنْ نعرف لمحةً عن دعوة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، من كتاب الله سبحانه وتعالى ليتجلى لنا بعدئذٍ معرفة من هم العلماء الوارثون حقاً للأنبياء، السائرون على طريقتهم.

قال الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٥ - ٢٦] ، وقال سبحانه وتعالى لخاتم أنبيائه ورسله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال تعالى على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - صلوات الله وسلامه عليهم - إذ كلهم قال لقومه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٦ - ١٢٧].

وقال الله تعالى في موعظة لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] .

وإنَّ العلماء حقاً هم الوارثون لعلم الأنبياء، وفي الحديث الشريف: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»(١).

وإنَّ مهمة العلماء هي التبليغ والدعوة، ولا شكَّ أنَّ أعظمها وأشرفها الدعوة إلى توحيد الله سبحانه، ونبذ الشرك بصوره وأشكاله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

كما أنَّ مهمة العلماء التبليغ المصحوب بتربيةٍ تؤهِّل لتطبيق المضمون المبلغ، فكما أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مربُّون فكذلك العلماء أمام أعينهم نماذج النبوة وأخلاقها، منْ لينٍ وطيبٍ، وتبشيرٍ وتيسيرٍ، وصبرٍ ويقين، وشكرٍ وعزم، وتصديقٍ وقوةٍ(٢).

ومنْ خلال ما تقدَّم اتَّضح لنا عدم الاغترار بمن كثر كلامه، أو كثرت كتاباته ومحاضراته، إذ هذا فقط ليس بدليلٍ على علمه وتَفَوُّقِه على غيره، حتى ينظر في مسلكه ومدى موافقته للسنة ونهج السلف، قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى مبيناً فضل علم السلف على علم الخلف:

«وقد ابتلينا بجهلةٍ من الناس يعتقدون في بعض من توسَّع في القول من المتأخرين أنَّه أعلم ممن تَقَدَّم، فمنهم منْ يظنُّ في شخصٍ أنَّه أعلم مِنْ كلِّ منْ تقدَّم من الصحابة ومنْ بعدهم؛ لكثرة بيانه ومقاله، ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء

---

(١) رواه مالك بلاغاً في الموطأ رواية يحيى الليثي (٢/ ٨٩٩ ح١٥٩٤)، وجاء موصولاً من طرقٍ منها: عند الحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٣)، والبزار (٢/ ٤٧٩ح٨٩٩٣)، والدارقطني (٤/ ٢٤٥ ح١٤٩)، عن ابن عباس- رضي الله عنهما - وإسناده حسنٌ كما في تخريج مشكاة المصابيح (١٨٦).
(٢) من كلمة للدكتور أحمد التوفيق بعنوان«دور العلماء في تدبير الإرث النبوي».

المشهورين المتبوعين، - ثم ذكر الثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك - وقال: فإنَّ هؤلاء كلهم أقلّ كلاماً ممن جاء بعدهم، وهذا - أي هذا التفصيل - تَنَقُّصٌ عظيمٌ بالسلف الصالح، وإساءة ظنٍّ بهم، ونسبتهم إلى الجهل وقصور العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم ذكر ابن رجب أثر ابن مسعود - رضي الله عنه -: «إنّكم في زمانٍ كثيرٌ علماؤه قليل خطباؤه، وسيأتي بعدكم زمانٌ قليلٌ علماؤه كثيرٌ خطباؤه»، فمن كثر علمه وقلَّ قوله فهو الممدوح، ومنْ كان بالعكس فهو مذموم[1].

ولهذا لقد حذَّر العلماء قديماً من القُصَّاص والمذكِّرين، وذلك لما يكثر فيهم من التساهل في الروايات، وعدم التثبُّتِ من صحَّتها، وغير ذلك من المحاذير، والله المستعان.

(١) فضل علم السلف على الخلف، ص٥. وأثر ابن مسعود رضي الله عنه رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ح١٠٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير»، وقال الهيثمي في» مجمع الزوائد» (١/ ١٢٧): رجاله ثقات، وورد أيضاً موقوفاً وانظر لذلك: السلسلة الصحيحة (٢٥١٠).

الفصل الثاني

فضل العلماء ومكانتهم في الكتاب والسنة

لقد زخر الكتاب الكريم والسنة النبوية ببيان فضل العلم ومكانة العلماء، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وفي هذه الآية الكريمة استشهد الله سبحانه وتعالى بأولي العلم من خلقه على توحيده سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة، وفيها دلالاتٌ على فضل العلماء

قال القرطبي رحمه الله:

«وفي هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم؛ فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء. وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]. فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم. وقال ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء»[١]، وقال: «العلماء أمناء الله على خلقه»[٢]، وهذا

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٢) رواه ابن الأعرابي في معجمه (٢ / ٧٦) والقضاعي في «مسند الشهاب»١/ ص١٠٠ ح١١٥) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (١٤/ ٢٦٧) عن أنس بن مالك مرفوعاً. ونقل العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٦٥) بعد أن عزاه للقضاعي وابن عساكر عن العامري قوله في الحديث: حسن.

أقول: ولكن في هذا التحسين نظر؛ لأن في بعض أسانيده محمد بن معاوية النيسابوري وقد كذبه ابن معين (انظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٦٥)، وروى الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٧١) عن ابن حبان قال: «وجدت في كتاب أبي بخط يده: ذكر لأبي زكريا (يعني يحيى بن معين): أن محمد بن معاوية النيسابوري حدث عن محمد بن يزيد عن إسماعيل بن سميع عن أنس: أن النبي ﷺ قال: الرسل أمناء الله؟ فقال أبو زكريا: هذا باطل وكذب، ما حدث محمد بن يزيد عن إسماعيل بن سميع بشيء ولا سمع منه، ولا سمع إسماعيل بن =

شرف للعلماء عظيم، ومحل لهم في الدين خطير[1].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله:

«وأما شهادة أهل العلم فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصاً في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه والعمل به، وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد؛ لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم.

وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس.

ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلاً.

ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته.

ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر

سميع (في الأصل: ابن رافع كما نبّه على ذلك الألباني) من أنس شيئاً، ومحمد بن معاوية حدث بأحاديث كثيرة كذب، ليس لها أصول.... »، ولقد أبان العلامة الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة»(ج ٦ / ص ١٩١) رقم ٢٦٧٠ أن محمداً لم ينفرد به لكن الضعف باق بسبب ضعفه. وقد استخدم العلماء هذا الإطلاق على العلماء إذ قال النسائي: أمناء الله عز وجل على حديث رسوله ثلاثة مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج ويحيى بن سعيد القطان. وفي شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص ٩٥) بسنده عن عبد الله بن داود الخريبي، يقول: «سمعت من أئمتنا ومن فوقنا أن أصحاب الحديث: وحملة العلم هم أمناء الله على دينه وحفاظ سنة نبيه ما علموا وعملوا».

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤ / ٤١).

المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه»(١).

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، والمعنى: هل يستوي من كان عالماً بربه، عالماً بأحكام الشرع عالماً بجزاء الله عز وجل، هل يستوي هذا ومن لا يعلم شيئاً من ذلك؟ والجواب: كلا؛ لا يستوون، وهذا يدل أيضاً على فضل العلماء وشرفهم.

وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فهذه شهادةٌ من الله تعالى لمن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيراً كثيراً، والحكمة هنا هي: العلم النافع والعمل الصالح، وفيه التخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، كما يقول الشيخ السعدي - رحمه الله -(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].فكل من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقام بواجب الدعوة إلى الله تعالى من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ فهؤلاء بشهادة الله تعالى لا أحد أحسنَ منهم ديناً، ولا أجراً، ولا مكانةً ولا مقاماً.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ١٢٤).

(٢) المصدر السابق (ص ١١٥).

تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يعني: أهل الفقه والدين. وكذا قال مجاهد، وعطاء، والحسن البصري، وأبو العالية، والضحاك، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد، وفسرت بالأمراء وهو قول ابن زيد وإحدى الروايتين عن ابن عباس وأحمد، والآية تتناول العلماء والأمراء معاً كما ذكره ابن كثير وغيره[١] وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال أبو العالية في قوله: ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال: هم أهل العلم، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣][٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٥ – ١٧].

وقال ابن القيم رحمه الله:

«وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان وما خصه الله به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه من أعلى المواهب وهو العلم والنبوة إن هذا لهو الفضل المبين»[٣].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (٨/ ٥٠١)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥)، ومفتاح دار السعادة (١/ ١٣٧).
(٢) جامع البيان للطبري (٨/ ٥٠١).
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٧).

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله:

«يذكر في هذا القرآن وينوه بمنته على داود وسليمان ابنه بالعلم الواسع الكثير بدليل التنكير كما قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨ – ٧٩] الآية.

ويقول في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] أي: ورث علمه ونبوته فانضم علم أبيه إلى علمه، فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه كما تقدم من قوله: ففهمناها سليمان، وقال شكراً لله وتبجحاً بإحسانه وتحدثاً بنعمته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾. فكان عليه الصلاة والسلام يفقه ما تقول وتتكلم به، كما راجع الهدهد وراجعه، وكما فهم قول النملة للنمل»[1].

وقال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وذلك لأنَّ تقوى الله وخشيته إنَّما تكون في طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم المستمدِّ من الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ولأنَّ العلم النافع كما يقول الإمام ابن رجب[2] – رحمه الله – يدل على أمرين:

أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضى بقضائه والصبر على بلائه.

(١) تفسير السعدي (١ / ٦٠٢).
(٢) فضل علم السلف على الخلف، ص٧.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال، فيوجب ذلك لمنْ علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه.

فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علمٌ نافعٌ، فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له، وذلَّ هيبةً وإجلالاً وخشيةً ومحبةً وتعظيماً، ومتى خشع القلب لله وذلَّ وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به، فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا.

ودلت السنة النبوية على أنَّ العلماء هم الوارثون لعلم الأنبياء، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي به عِلْماً سَلَكَ الله له طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، وإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ»[1].

---

(١) رواه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل النفقة على العبادة (٢٦٨٢)، وأبو داود: كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٣٦٤١)، وابن حبان (١/ ٢٨٩ح٨٨)، وابن ماجة في «المقدمة» باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣) من طريق عاصم بن رجاء عن داود بن جميل - وليس الوليد بن جميل كما جاء في طبعة الترمذي - وساقه الترمذي عن شيخه محمود بن خداش البغدادي حدثنا محمد بن يزيد الواسطي حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير عن أبي الدرداء به ، ولكن قال عقبه: «ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل هكذا، حدثنا محمود بن خداش بهذا الإسناد، وإنما يروي هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ وهذا أصح من حديث محمود بن خداش ورأي محمد بن إسماعيل هذا أصح» انتهى، وداود بن جميل وكثير بن قيس ضعيفان، (انظر: التقريب ١٧٨٨ و٥٦٢٤). =

وفي هذا الحديث تعظيم الملائكة لأهل العلم وحبها لهم، وأنَّ كل مخلوقٍ في السماوات وفي الأرض يستغفر لهذا العالِم، حتى أنَّ الحوت الذي في الماء يطلب المغفرة لهذا العالِم، وجاء في حديث أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»(١).

ومِنْ أوجه بيان فضل العلماء في هذا الحديث(٢): أنّه قارن بين العالم والعابد،

وأعله الدارقطني في «العلل» (٦ / ص ٢١٦) رقم ١٠٨٣ بالاضطراب في سنده.

وأطال ابن الملقن في «البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير»(٧ / ص ٥٨٧) الكلام عليه وصححه، وذكر ابن حجر في «التلخيص الحبير»(٣/ ١٦٤) أن له شاهداً قوياً.

وحسن الحديث شيخنا الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ص ١٧) لغيره. وذكر شيخنا العلامة عبد المحسن العباد في شرحه لسنن أبي داود (ص ٢٤٦) أن بعض جمل هذا الحديث جاءت في أحاديث أخرى، فالجملة الأولى جاءت ضمن حديث لأبي هريرة في صحيح مسلم (٧٠٢٨)، وكذلك بعض الجمل فيه جاءت متفرقة في بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

كما جاء في «صحيح البخاري» معلقاً في باب العلم قبل القول والعمل؛ قول الله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) فبدأ بالعلم، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء؛ ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر.

وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية»(١ / ٧٩): وروي هذا الحديث: «العلماء ورثة الأنبياء» بأسانيد صالحة.

(١) رواه الترمذي: كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥)واللفظ له، والطبراني في»المعجم الكبير»(٨/ ٢٤٢ رقم٧٩١١) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسن صحيح غريبٌ» كما في تحفة الأشراف (٦/ ١٧٧ رقم ٤٩٠٧)، وفي صحيح الترغيب والترهيب(٨١):حسن لغيره. وروى ابن ماجة (١ / ص ٤٦) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «إنه ليستغفر للعالم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر»وصححه الألباني في التعليق الرغيب ١ / ٥٩ – ٦٠.

ورواه الْحَارِث بْن بن أَبِي أُسَامَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رفعه بلفظ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أُمَّتِي» وفي إسناده زيد العمي وهو ضعيف. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث(١ / ص ١٨٤)وإتحاف الخيرة المهرة (١ / ص ٢٠٨ح٢٨٧).

(٢) بقليل من التصرف مِنْ «من هم العلماء «للشيخ عبدالسلام بن برجس.

وهذه المقارَنة تبيِّن منزلة كل واحدٍ منهما؛ فالعالم بالنسبة للعابد يُشَبَّه بالقمر بالنسبة إلى الكواكب، وبهذه المقارنة يتميز ويتجلى فضل العالم على العابد، فكيف بمن سوى العابد؟ فالعالم بمنزلة القمر الذي يضيء الآفاق كلَّها، ويمتد نوره في أقطار العالم، أما العابد فهو بمنزلة الكوكب الذي لا يتجاوز نوره نفسه أو ما يقرب من محيطه.

ويقول ابن القيم: «وأما تشبيههم بالقمر فذلك كان في مقام تفضيلهم على أهل العبادة المجردة وموازنة ما بينهما من الفضل والمعنى أنهم يفضلون العباد الذين ليسوا بعلماء كما يفضل القمر سائر الكواكب فكل من التشبيهين لائق بموضعه والحمد لله، وقوله: إن العلماء ورثة الأنبياء هذا من أعظم المناقب لأهل العلم فإن الأنبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده، ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم، وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم فكذلك هو في ميراث النبوة والله يختص برحمته من يشاء، وفيه أيضاً إرشاد وأمر للأمة بطاعتهم واحترامهم وتعزيزهم وتوفيرهم وإجلالهم، فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة وخلفاؤهم فيهم، وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين وبغضهم مناف للدين كما هو ثابت لموروثهم، وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله كما هو في موروثهم، قال علي رضي الله عنه[١]: «محبة العلماء دين يدان به»[٢].

(١) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١ / ١٩٨) وغيره.
(٢) مفتاح دار السعادة (١ / ٦٦).

وفي الأثر التالي يتضح الميراث الحقيقي للأنبياء: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ مَرَّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «يَا أَهْلَ السُّوقِ، مَا أَعْجَزَكُمْ !» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: «ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقْسَمُ، وَأَنْتُمْ هَاهُنَا لا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ !»قَالُوا: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: «فِي الْمَسْجِدِ»فَخَرَجُوا سِرَاعًا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا يُقْسَمُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: «أَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ «قَالُوا: بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَاكَرُونَ الْحَلالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَيْحَكُمْ، فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ ﷺ»، لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن الرُّومِيِّ إلا عَلِيُّ بن مَسْعَدَةَ ودنياكم[1].

وفي كون العلماء ورثةً للأنبياء دليل جلي على أنَّ العلماءَ أقرب الناس إلى الأنبياء؛ لأنَّ الميراث إنَّما يكون لأقرب الناس إلى المورث، ونجد في السنة النبوية في تبيان مكانتهم أحاديث كثيرةً، منها ما رواه الشيخان[2] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىَ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ. وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوْا. وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَىَ، إِنّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلّمَ. وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٩ / ١٦٤) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١ / ٥٨) والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١ / ١٤٨) والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١ / ١٩).

(٢) البخاري: كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم (٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب مثل ما بعث النبي من الهدى والعلم (٢٢٨٢).

وفي هذا الحديث العظيم تشبيهان بليغان:

الأول: تشبيه العلم والهدى الذي جاء به الرسول ﷺ بالغيث؛ أي بالمطر، بجامع أنَّ كُلاًّ منهما تحصل به الحياة وتنشأ عنه المنافع، فالماء تحصل به حياة الأرض، كما قال جل وعلا عن الغيث: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. كما أنَّ العلم والهدى تحصل به حياة الروح، كما قال الله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

والثاني: تشبيه القلوب بالأراضي؛ بجامع أنَّ كُلاًّ منهما محل للتَّقَبُّل: فالأرض ينزل عليها المطر، كما أنَّ القلوب يقع عليها العلم، فهذا محلٌّ للعلم، وهذا محلٌّ للماء[١].

ومن السنة أيضاً ما في قوله ﷺ: «ليس من أمتي من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»[٢]، وفيه دلالةٌ على فضل العالم، وضرورة معرفة حقِّه

---

(١) «من هم العلماء» بقليل من التصرف.

(٢) أخرجه أحمد في المسند وابنه عبدالله في زوائده عليه (٣٧/ ٤١٦، رقم ٢٢٧٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير»، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» من طريقه ٤٤٥، والبزار في مسنده (٧/ ١٥٧-١٥٨ ح٢٧١٨)، والطبري في «تهذيب الآثار»(٢ / ٢٧٩ ح ٢٣١)، والآجري في «أخلاق حملة القرآن» ح ٦٣، والطحاوي في «مشكل الآثار»(٢ / ١٣٣ ح١١٣٣)، والسلمي في «التدوين في أخبار قزوين (٤ / ١٧٦)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»١/ ١٨٧)، والحاكم (١/ ١٢٢ ح ٤٢١) - وقال: مالك بن خير الزيادي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعى كبير - كلهم من طريق مالك بن الخير الزيادي عن أبي قبيل المعافري عن عبادة بن الصامت وعند بعضهم دون زيادة «حقه». وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٢١٣).
كما ذكر الدارقطني في «أطراف الغرائب والأفراد» (٤ / ٢٢٦ح٤١٢٩) حديث أبي قبيل عن عبادة حديث: «ليس منا من لم يبجل كبيرنا...» الحديث. وقال: «تفرد به مالك بن الخير الزيادي عن أبي قبيل».
ومالك بن الخير الزبادي - بالمنقوطة والموحدة كما ضبطه ابن حجر في تعجيل المنفعة (٢ / ٢٢٤) وكذا في كتب الأنساب - يكنى أبا الخير روى عن مالك بن سعد التجيبي وأبي قبيل المعافري روى عنه حيوة بن شريح ورشدين بن سعد وزيد بن الحباب وعبدالله بن وهب وغيرهم، ذكره ابن حبان في الثقات، =

من توقيرٍ وتكريمٍ واحترامٍ.

وقال الحكيم الترمذي عقب الحديث:

«ومعـرفة حـــق العالم هـــو حق العلم أن يعرف قدره بما رفع الله من قدره

وقال ابن القطان: لم تثبت عدالته.

لكن ذكر الحديث الذهبي في الميزان (٣/ ٤٢٦)، وتعقب ابن القطان فقال: وفي رواة الصحيحين عدد كثير ما علمنا أن أحداً نص على توثيقهم والجمهور على أن من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة ولم يأت بما ينكر عليه أن حديثه صحيح.

وتعقبه الحافظ ابن حجر في اللسان (٥/ ٣) بأن ما فيها شيء نادر لأن غالبهم معرفون بالثقة إلا من خرجا له في الاستشهاد.

قلت: لكن أخرجه الشاشي في مسنده (٣ / ٤٧١ح١٢٠٩) والطبراني في «مكارم الأخلاق» للطبراني (١ / ١٨٢)ح ١٤٧ من طريق عبد الله بن صالح، حدثني ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت النبي صلى الله عليه يقول: «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه».

كما جـاء الحـــديث بأسـانيد أخرى وبألفاظ متعددة دون لفظة «لعالمنا حقه» انظرها في السلسلة الصحيحة رقم ٢١٩٦، ولما ذكـر الترمـذي في جامعه حديث رقم: ١٩١٩عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر». قال: «هذا حديث حسن غريب، وحديث محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب حسن صحيح، وقد روي عن عبد الله بن عمرو من غير هذا الوجه أيضاً قال بعض أهل العلم معنى قول النبي ﷺ: «ليس منا» يقول: ليس من سنتنا ليس من أدبنا. وقال علي بن المديني قال يحيى بن سعيد: كان سفيان الثوري ينكر هذا التفسير «ليس منا» يقول: ليس من ملتنا.

وحديثنا هذا قد صححه عبد الحق الإشبيلي كما في «إتحاف المهرة»(٦ ٤٣١ رقم ٦٧٦١)، ويؤنس من كلام الحافظين الذهبي وابن حجر تحسينه عند ترجمتها لمالك الخير، كما ذكره المنذري في الترغيب (١/ ٦٤) في إكرام العلماء وإجلالهم وحسنه، وكذا المناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي» (٢ / ٦٤١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»(١/ ١٢٧): رواه أحمد وإسناده حسن، وحسنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ح٢١٩٦ وغيرها.

وقد ذكر الشيخ شعيب الأرناؤرط في تحقيقه لمسند أحمد أن رجاله ثقات إلا أن أبا قبيل وهو حيي بن هانئ بن ناضر لم يسمع من عبادة.

أقول: لم أر من نص على عدم السماع المذكور والذي في تهذيب التهذيب (٣/ ٧٣) وغيره رواية أبي قبيل عن عدد من الصحابة منهم عبادة بن الصامت رضي الله عنهم جميعاً.

وآتاه العلـــم قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فيعرف درجاته التي رفع الله له بما آتاه من العلم»[١].

وقال المناوي في شرحه للحديث:

«وذلك بمعرفة حق العلم بأن يعرف حقه بما رفع الله من قدره فإنه قال: يرفع الله الذين آمنوا منكم، ثم قال: والذين أوتوا العلم؛ فاحترام العلماء ورعاية حقوقهم توفيق وهداية، وإهمال ذلك خذلان وعقوق وخسران»[٢].

وقد قال الإمام طاووس: «إن من السنة أن توقر العالم»[٣].

وعن أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِى الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِى السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً....»[٤].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«ولا يخفى أنَّ محلَّ تقديم الأقرأ إنَّما هو حيث يكون عارفاً بما يتعين معرفته من أحوال الصلاة، فأمَّا إذا كان جاهلاً بذلك فلا يقدَّم اتفاقاً، والسبب فيه أنَّ أهل ذلك العصر كانوا يعرفون معاني القرآن لكونهم أهل اللسان، فالأقرأ منهم بل القارئ كان أفقه في الدين من كثيرٍ من الفقهاء الذين جاؤوا بعدهم»[٥].

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١ / ١٨٧).
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٦٤١).
(٣) جامع بيان العلم وفضله - مؤسسة الريان - (١ / ٢٢٢) رقم ٤٤٢.
(٤) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (٦٧٣) والترمذي: كتاب الطهارة، باب من أحق بالإمامة(٢٣٥) والنسائي: كتاب الإمامة باب من أحق بالإمامة (٧٨١) وغيرهم.
(٥) فتح الباري في شرحه لحديث رقم ٦٨٥.

وقال ابن القيم رحمه الله:

«فقدم في الإمامة تفضيله العلم على تقدم الإسلام والهجرة، ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسنة لشرف معلومه على معلوم السنة؛ قدم العلم به، ثم قدم العلم بالسنة على تقدم الهجرة، وفيه من زيادة العمل ما هو متميز به، لكن إنما راعى التقديم بالعلم ثم بالعمل، وراعى التقديم بالعلم بالأفضل على غيره، وهذا يدل على شرف العلم وفضله، وأن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية»[١].

وإنَّ حملة العلم قد دعا لهم النبي ﷺ، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فحملها إلى غيره، فرُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقهٍ ليس بفقيه...»[٢].

وإنَّما دعا ﷺ لسامع السنة ومبلغها بالنضارة جزاءً وفاقاً لما قام به من بثها ونشرها وجعلها بذلك غضَّةً طريّةً، وممن علَّل بهذا التعليل الملا عليّ قاري - رحمه الله -[٣] حيث قال: «لأنَّه جدَّد بحفظه ونقله طراوة الدين، فجازاه في دعائه بما يناسب عمله»، وقال أيضاً: «خصَّ مبلِّغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء لأنَّه سعى في نضارة العلم وتجديد السنَّة، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله»[٤].

وقال ابن القيم: «ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفاً»[٥].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ٧٣).

(٢) رواه ابن ماجه (١ / ٨٤ ح ٢٣٠) والحاكم (١ / ٨٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٤١)، وله طرق عن ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وجبير بن مطعم وأنس بن مالك والنعمان بن بشير وغيرهم - رضي الله عنهم جميعاً - بألفاظ متعددة، جمعها شيخنا العلامة عبد المحسن العباد - حفظه الله - في كتابه «حديث نضَّر الله امرأ رواية ودراية».

(٣) مرقاة المفاتيح (١/ ١٨٨).

(٤) انظر للمزيد حديث: «حديث نضَّر الله امرأ رواية ودراية» ص ٢٣٤.

(٥) مفتاح دار السعادة (١ / ٧١).

كما جعل النبي ﷺ حملة العلم عدولاً في قوله: «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»(١).

ويقول الإمام النووي - رحمه الله -: «هذا إخبارٌ منه ﷺ بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأنَّ الله تعالى يوفِّق له في كل عصرٍ خلفاء من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف وما بعده فلا يضيع، وهذا تصريحٌ بعدالة حامليه في كل عصر، وهكذا وقع ولله الحمد، وهذا منْ أعلام النبوة، ولا يضرُّ مع هذا كون بعض الفساق يعرف شيئًا من العلم، فإنَّ الحديث إنَّما هو إخبارٌ بأنَّ العدول يحملونه لا أنَّ غيرهم لا يعرف شيئًا منه، والله أعلم»(٢).

وفي الحديث القدسي فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه عز وجل إن الله تعالى قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»(٣).

وأولياء الله هم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وهم الذين وصفهم الله عز وجل كما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

---

(١) رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٨ / ٣٧٣) والطبراني في «مسند الشاميين» (١ / ٣٤٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (ج ٢ / ص ٣٢٢) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٥٢-٥٨) وغيرهم عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري وهو مختلف في صحبته، والحديث أورده ابن عدي في الكامل (١ / ١٤٦) من طرق كلها ضعيفة، كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البر، وسئل أحمد بن حنبل عن حديث معان بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين» قال: هو صحيح، واستشهد به ابن أبي حاتم في «تقدمة الجرح والتعديل»(١ / ٣٤١) وحسنه العلائي. وانظر للمزيد: «البدر المنير» (١ / ٢٥٩) و«جمع الجوامع» ص ٩٩٥، و«شرف أصحاب الحديث» (٥٥)، و«إرشاد الساري» (١ / ٤) و«فتح الباري» (٦ / ٤٩٨). وللمرتضى الزبيدي رسالة باسم «الروض المؤتلف في تخريج: يحمل هذا العلم».

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ / ٢١).

(٣) رواه البخاري: كتاب العلم، باب التواضع (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ﭐسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

وروى الخطيب البغدادي بإسناده عن الخليل بن أحمد رحمه الله أنه قال: «إن لم يكن أهل القرآن والحديث أولياء الله فليس لله في الأرض ولي»[١].

وذكر الإمام النووي في كتاب التبيان وغيره عن الإمامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى أنهما قالا: «إن لم يكن العلماء أولياء لله فليس لله ولي»[٢].

وذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أنَّ المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته، وفي هذا الحديث تهديدٌ شديدٌ لمن يؤذي العلماء بالطعن فيهم وشتمهم أو الاستهزاء بطلبة العلم والعباد؛ لأنَّ من حاربه الله أهلكه، وهذا في جانب المعاداة، فكذلك يثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله وأحبهم أحبه الله وأكرمه[٣].

وقد جاء في حديث أنَّ من إجلال الله إجلال حامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، فعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»[٤]، وذلك لأنَّ شرع الله عدلٌ بين الغالي فيه والجافي عنه، فلا إفراط ولا

(١) شرف أصحاب الحديث (ص ٥٠).
(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١١).
(٣) فتح الباري (١١ / ٣٤٢).
(٤) رواه أبو داود: كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (٤٨٤٣) - وسكت عنه - ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان»(٢٥٧٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦ / ٥٣٦) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زياد بن مخراق عن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعري به. وأبو كنانة مجهول كما في التقريب ٨٣٢٧، وبه أعله ابن القطان وقال: لا يعرف، وانظر «بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام» (٤ / ٣٧١ح١٩٥٧) و«البدر المنير» (٥ / ٢٥٥) وحسَّنه ابن حجر في «التلخيص الحبير» ٢ / ٢٧٧) ورد على من حكم عليه بالوضع، كما

تفريط؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧]. ولا يتأتى ذلك بالعلم الشرعي.

عن صَفْوَان بن عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بُرْدٍ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بطالب الْعِلْمِ طَالِبُ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ، فَمَا جِئْتَ تَطْلُبُ؟» قَالَ: قَالَ صَفْوَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لا نَزَالُ نُسَافِرُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَأَفْتِنَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «ثَلاثَةُ أَيَّامٍ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمٌ وَلَيْلَةٌ لِلْمُقِيمِ»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله معقباً على هذا الحديث:

«ففي هذا الحديث حف الملائكة له بأجنحتها إلى السماء، وفي الأول وضعها أجنحتها له، فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل، والحف بالأجنحة حفظ وحماية وصيانة، فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له وحبها إياه وحياطته وحفظه، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفاً وفضلاً»(٢).

حسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٨٤٣)، و«صحيح الجامع الصغير» (٢١٩٩).

(١) المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٤٩ح ٧١٩٦) - وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح»-، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٣/ ٢٠١) واللفظ لهما، والحاكم في المستدرك (١/ ١٨٠) وقال: «هذا إسناد صحيح فإن عبد الوهاب بن بخت من ثقات البصريين وأثباتهم ممن يجمع حديثه وقد احتجا به و م يخرجا هذا الحديث، ومدار هذا الحديث على حديث عاصم بن بهدلة عن زر، وقد أعرضا عنه بالكلية. وله عن زر بن حبيش شهود ثقات غير عاصم بن بهدلة فمنهم المنهال بن عمرو وقد اتفقا عليه». وقال الذهبي قي التلخيص: «صحيح الإسناد»، وقال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٣): «وهو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع ومثله لا يقال بالرأي».

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٤).

وإنَّ تعظيم العلماء ورفع شأنهم من علامات تقوى القلب؛ لأنَّها مِنْ تعظيم شعائر الرب عز وجل، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، ولا شكَّ أنَّ مِنْ أجلِّ مَنْ أمر الله بتوقيرهم وإكرامهم وتعظيمهم أهل العلم؛ فهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله في خطبة كتاب (الرد على الجهمية) عن العلماء أنهم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علمٍ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون الجهَّال بما يشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين[1].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - في شرحه للعقيدة الطحاوية:

«يجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، فإنَّهم خلفاء الرسول في أمته، والمحيون لما مات من سنته فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا»[2].

(١) الرد على الجهمية: (ص١٣ - ١٤) وهذه الخطبة رُوي نحوها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في مقدمة «البدع والنهي عنها» لابن وضاح القرطبي.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٥٥.

وقد عدّ الإمام ابن القيم – رحمه الله – منصب العلماء منصباً عظيماً إذ أحكامهم وفتاويهم بمنزلة التوقيع عن رب العالمين حيث قال: «وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السَّنِيَّات؛ فكيف بمنصب التوقيع عن ربِّ الأرض والسَّموات؟»[1].

(١) إعلام الموقعين (١ / ١٠).

الفصل الثالث

حقوق العلماء على الأمة

إنَّ حقَّ المسلم على المسلم عظيم، وفي ذلك أحاديث كثيرة، ومما لا شكَّ فيه أنَّ العلماء في طليعة من تجب لهم الحقوق، لتحلِّيهم بالعلم والفضل، ولجهادهم في صيانة الشريعة الإسلامية وتعزيزها؛ لذا تجب موالاتهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجب على المسلمين - بعد موالاة الله ورسوله ﷺ - موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن. خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

إذ كل أمة - قبل مبعث محمد ﷺ - فعلماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول في أمته والمحيون لما مات من سنته بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا»(١).

وسأذكر - إن شاء الله - طائفةً مباركةً من الأحاديث الدالة على عظم حق العلماء مع نُبذٍ مما كان عليه سلفنا الصالح في التأدب معهم.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»(٢).

---

(١) مقدمة «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».

(٢) رواه البخاري:كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز (١٢٤٠)، ومسلم: كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (٢١٦٢).

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(١).

ولقد أمر الله تعالى بحسن الخلق مع الناس كافَّةً، فقال عزَّ من قائلٍ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال أبو العالية: «قولوا لهم الطيِّب من القول، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به»(٢).

كما حرم الإسلام الغيبة، وفي التنزيل الحميد قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»(٣).

وعن جابر رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٤).

ولا شكَّ أنَّ غيبة العلماء أشدّ وآثم من غيبة غيرهم؛ لما يترتّب على ذلك من المفاسد العظيمة في غيبتهم، ولهذا نصَّ بعض العلماء على أنَّ الغيبة إذا كانت في أهل

---

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وذمه وعرضه وماله (٢٥٦٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٦٠).
(٣) رواه مسلم:كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو التواضع (٢٥٨٩) وغيره.
(٤) رواه مسلم:كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (٤١) وغيره.

العلم وحملة القرآن الكريم فهي كبيرةٌ، وإلا فصغيرةٌ(١).

كما يحرم إيذاء العلماء عموماً لأنه إيذاء لله عز وجل، كما قال حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «من آذى فقيهاً فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله تعالى»(٢).

كما أنَّ الإسلام قد حثَّ على ستر المسلم عند وقوعه في الزلات والهفوات، وفي ذلك فضلٌ عظيمٌ، كما في الحديث عن عَبْد اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣)، ولا شك بأنَّ ستر العالم آكد من غيره بلا ريب.

كما أنَّ دعاء المسلم لمنْ له السبق بالإيمان، وصفاء القلوب من الغلِّ للمؤمنين أمرٌ عظيمٌ، وقد أثنى الله على منْ كان هذا شأنه بقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ولهذا منْ حقوق العلماء علينا الدعاء لهم والاستغفار لهم، وقد جاء في الحديث: «وَإِنّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السّمَاواتِ وَمَنْ في الْأَرْضِ»(٤)، وفي الحديث أيضاً عن أبي أمامة أَنَّ النبي ﷺ قال: «إنّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ الأرض حَتّى النّمْلَةَ في جُحْرِهَا وَحَتّى الْحُوتَ لَيُصَلّونَ عَلَى مُعَلّم النّاسِ الْخَيْرَ»(٥). ومعنى «يُصَلّونَ»: يدعون.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ

(١) انظر: تفسير السراج المنير (١/ ٦٥٥).
(٢) رواه ابن شاهين في فضائل الأعمال وثواب ذلك (١ / ٣١٦) ح ٢٨٤ والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١ / ١٤٠).
(٣) رواه البخاري:كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم مسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢).
(٤) سبق تخريجه في فضل العلماء.
(٥) سبق تخريجه.

سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١).

وأي معروفٍ أعظم علينا في هذه الدنيا من معروف علمائنا الذين يدلُّونا على ما يقرِّبنا إلى رضوان الله ويباعدنا عن غضبه؟

وروى الخطيب بإسناده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: يا أبت! أي شيء كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال لي: يا بني! كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو منهما؟(٢).

وقال المرذوي: «قدم رجل من طرسوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء: «ادعوا لأبي عبد الله»، يعني الإمام أحمد بن حنبل(٣).

وقال أبو محمد التميمي: «يقبح بكم أنْ تستفيدوا منا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا»(٤).

ومن حقوقهم علينا توقيرهم، واحترامهم، والتواضع لهم، وخفض الجناح لهم، وقد مرَّ بنا حديث النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السّلْطَانِ المقْسِطِ».

وقد ذكر الخطيب البغدادي - رحمه الله - في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» تحت باب تعظيم المحدِّث وتبجيله؛ أثراً عن كعب الأحبار قوله:

---

(١) رواه أبو داود: كتاب الزكاة باب عطية من سأل بالله (١٦٧٢)، والنسائي: كتاب الزكاة باب من سأل بالله عز وجل (٢٥٢٨)، وأحمد (١٠ / ١٣٣ح٥٧٤٣) وابن حبان: الإحسان (٨ / ١٩٩ح٣٤٠٨)، والحاكم (١٠/٥٧٢ح١٥٠٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تاريخ بغداد (٢ / ٦٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢١٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨ / ٦١٣).

«ثلاثة نجدُ في الكتاب يحقُّ علينا أنْ نُكرِمهم، وأنْ نشرِّفهم، وأنْ نوسِّع عليهم في المجالس: ذو السن، وذو السلطان بسلطانه، والحامل للكتاب»(١).

ولقد أخذ عبد الله بن عباس بركاب زيد بن ثابت فقال لزيد: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟! فقال ابن عباس: «إنَّا هكذا نصنع بالعلماء»(٢).

وعن الحسن قال: رئي ابن عباس يأخذ بركاب أبيٍّ بن كعب، فقيل له: «أنت ابن عم لرسول الله ﷺ تأخذ بركاب رجلٍ من الأنصار؟!»، فقال: «إنه ينبغي للحبر أنْ يعظم ويشرف»(٣).

وعن يحيى بن سعيد قال: ذكر عمر فضل أبي بكر، فجعل يصف مناقبه، ثم قال: «وهذا سيدنا بلال حسنةٌ من حسناته»(٤).

وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يتواضع لمفتي مكة عطاء بن أبي رباح، مع أنه تابعيٌّ: فعن عمر بن سعيد عن أمه قالت: قدم ابن عمر مكة، فسألوه، فقال: «أتجعلون لي يا أهل مكة المسائل، وفيكم ابن أبي رباح - يعني عطاء -»(٥).

وقال طاووس بن كيسان: «إنَّ من السُّنة أنْ توقر العالم»(٦).

وقد ذكر الإمام ابن أبي حاتم في «تقدمة الجرح والتعديل» باباً في ذكر تعظيم العلماء لسفيان الثوري، ونزولهم عند قوله وفتواه، وباباً فيما ذكر من تعظيم العلماء لأحمد بن حنبل - رحمه الله -.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢٧١ ح٢٩٢).
(٢) المصدر السابق (٣٠٧).
(٣) المصدر السابق (٣٠٩).
(٤) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٢٨٤) و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١٠٠٧).
(٥) تهذيب الكمال (٢٠/ ٧٧).
(٦) جامع بيان العلم وفضله (٥٢٠).

وفي التواضع للعلماء ما قاله الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: «أمرنا أنْ نتواضع لمن نتعلم منه»[١].

وللإمام الشافعي - رحمه الله - مواقف كثيرة متواضعة وكان كثيراً ما يتمثل:

أهين لهم نفسي لكي يكرموها ولن تَكْرُمَ النفس التي لا تهينها[٢]

ومِنْ حقوق العلماء أيضاً في المجالسة ما جاء عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: «من حق العالم عليك أنْ تُسَلِّم على القوم عامةً وتخصه بالتحيَّة، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرن بيدك إليه، ولا تغمز بعينك، ولا تقولنَّ: قال فلان خلاف قوله، ولا تغتابَنَّ عنده أحد، ولا تطلبنَّ عثرته، وإنْ زلَّ قبلتَ معذرته، وعليك أن توقِّره لله تعالى، وإنْ كانت له حاجةٌ سبقْتَ القوم لخدمته، ولا تسارّ في مجلسه، ولا تأخذْ بثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول صحبته؛ فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيءٌ»[٣].

ومنْ صور إدراك علمائنا - رحمهم الله - ما ينبغي أنْ يكونوا عليه تجاه العلماء نجد صوراً كثيرة من الآداب والتواضع تجاه بعضهم، ومن تلك الصور:

قال أبو حاتم الرازي: «كان ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل، وكان أحمد بن حنبل لا يسمِّيه، إنما يكنِّيه تبجيلاً له»[٤].

وقال الحافظ ابن الصلاح - رحمه الله -: «لا ينبغي للمحدِّث أن يحدِّثَ بحضرة منْ هو أولى منه بذلك»[٥].

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٢٧٣ رقم ٢٩١)، و«الآداب الشرعية» (٢ / ٨٨).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٨٠٣).
(٣) كنز العمال (٢٩٥٢٠) وعزاه إلى ابن عبد البر والمرهبي.
(٤) تهذيب التهذيب (٧ / ٣٥٠).
(٥) مقدمة ابن الصلاح، ص ٥٣.

وكان إبراهيم والشعبي إذا اجتمعا لم يتكلم إبراهيم بشيء لسنِّه[١].

وقال سفيان الثوري لسفيان بن عيينة: «ما لك لا تحدث؟» فقال: «أما وأنت حي فلا»[٢].

وهناك آدابٌ كثيرةٌ ينبغي أن يلتزم بها عموم الناس وطلاب العلم بوجهٍ خاصٍّ تجاه علمائهم، ومن ذلك تواضع الطلاب للعلماء، وفي ذلك آثارٌ كثيرةٌ عن علمائنا، ومنها:

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: «لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزِّ النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذُلِّ النفس، وضيق العيش، وخدمةِ العلماء أفلح»[٣].

وقال الإمام شعبة - رحمه الله -: «كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً ما حَيِيَ»[٤].

وذكر الخطيب البغدادي - رحمه الله - أنَّ من أدب الطالب مع شيخه أن ينبله في الخطاب، ويبجِّله في الألفاظ، إذ قال: «وإذا خاطب الطالب المحدِّث عظّمه في خطابه، بنسبته إياه إلى العلم، مثل أن يقول له: «أيها العالم»، أو «أيها الحافظ»، ونحو ذلك»[٥].

وقال المروذي - رحمه الله -: «دخلت على ذي النون السجن، ونحن بالعسكر، فقال: «أي شيءٍ حال سيدنا؟»[٦]، يعني: أحمد ابن حنبل.

وقد بلغ من تواضع علمائنا وروائع تربيتهم أنهم يتواضعون لتلاميذهم فهذا

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٧٠٣).
(٢) الحد الفاصل، ص ٣٥٢.
(٣) شعب الإيمان (١٦٩١).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٣١٨).
(٥) المصدر السابق (٢٩١).
(٦) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٧).

الإمام البخاري يقول لتلميذه الإمام الترمذي: «ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي»[1]، وهذا من أعظم الدروس لتعليم الطلاب التواضع.

ومن الأدب في مجالس العلماء: الإصغاء لهم والاستماع لهم، ولو كان يعلم المستمع قبل ذلك ما يسمع منه، وانظر لهذا الأثر عن الإمام عطاء - رحمه الله - عن معاذ بن سعيد قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح، فتحدث رجلٌ بحديثٍ، فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: «سبحان الله! ما هذه الأخلاق؟! ما هذه الأحلام؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريهم من نفسي أني لا أحسن منه شيئاً»[2].

ومن الأدب: أنه لا يبدأ الحديث حتى يأذَنَ له، قال الإمام الخطيب البغدادي - رحمه الله -: «ويجب على الطالب ألا يقرأ حتى يأذن له المحدِّث. ثم ساق بسنده إلى محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني، قال: «تقدمت إلى أبي بكر بن مجاهد لأقرأ عليه، فتقدم إليه رجلٌ وافر اللحية، كبير الهمة، فابتدأ ليقرأ، فقال: ترفق يا خليلي، سمعت محمد بن الجهم السمري؟ قال: سمعت الفراء يقول: «أدب النفس، ثم أدب الدرس»[3].

ومن الآداب نحوهم: عدم مماراتهم، قال الشعبي: «كان أبو سلمة يماري ابن عباس، فحرم بذلك علماً كثيراً»[4].

وعن أبي سلمة قال: «لو رفقت بابن عباس لاستخرجتُ منه علماً كثيراً»[5].

---

(١) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٩).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٣٥١).
(٣) المصدر السابق (٦٥٧).
(٤) جامع بيان العلم وفضله (٦١٤).
(٥) المصدر السابق (٦١٤).

ومنه: مداراةُ العالِم والصبرُ على جفوته، إذ ينبغي لطالب العلم أن يصبر على جفوةٍ تصدر من شيخه، أو سوء خلقٍ، ولا يصده ذلك عن ملازمته، وحسن عقيدته، ويتأول أفعاله التي يظهر أنَّ الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب عليه، فإنَّ ذلك أبقى لمودة شيخه، وأحفظ لقلبه، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته»[(١)].

وعن عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال: أخبرنا أبي، قال: «سمعت أبا يوسف القاضي يقول: خمسةٌ يجب على الناس مداراتهم: الملك المتسلط، والقاضي المتأول، والمريض، والمرأة، والعالم ليقتبس من علمه، فاستحسنت ذلك منه»[(٢)].

ومنه: اختيارُ الوقت والحال المناسب للعالم للدرس والاستفتاء، فعن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال: «ما دققت على محدِّثٍ بابه قط؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الحجرات: ٥]»[(٣)].

وقال النووي – رحمه الله –: «ينبغي للمستفتي أنْ يتأدب مع المفتي ويبجِّله في خطابه وجوابه ونحو ذلك، ولا يومئ بيده في وجهه، ولا يقل له ما تحفظ في كذا، أو ما مذهب إمامك في كذا، ولا يقل إذا أجابه: هكذا قلت أنا، أو كذا وقع لي، ولا يقل: أفتاني فلان أو غيرك بكذا، ولا يقل: إن كان جوابك موافقاً لمن كتب فاكتب وإلا فلا تكتب، ولا يسأله وهو قائمٌ أو مستوفزٍ، أو على حالة ضجرٍ أو همٍّ أو غير ذلك مما يشغل القلب»[(٤)].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: آداب المتعلم (٣٠/ ٩٥).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٤٢١).
(٣) تدريب الراوي (٢/ ٤٩).
(٤) المجموع شرح المهذب (١ / ٥٧).

وقال الخطيب البغدادي - رحمه الله -: «وإنْ رآه في همٍّ قد عرض له، أو أمرٍ يحول بينه وبين لُبِّه، ويصدُّه عن استيفاء ذكره، أمسك عنه، حتى إذا زال ذلك العارض، وعاد إلى المألوف مِنْ سكون القلب، وطيب النفس، فيحنئذٍ يسأله، وقدْ نبَّه ﷺ على ذلك في قوله: «لا يقض رجلٌ بين رجلين أو بين خصمين، وهو غضبان»[١].

وإنَّ مِنْ أهم ما يجب أنْ يراعى مع العلماء الأدب في النصيحة تجاههم، إذ إنَّ لها ضوابط وأصول يسار عليها، وإلا خرجت عن طورها، وقدْ بيَّن الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - ما يتعلق بنصح العالم فيما سيأتي بيانه إن شاء الله في خطورة القدح بالعلماء.

وإنَّ من حقوق العلماء على الأمة حضور حلقات العلم والدروس التي يجلسون لها، والنهل من معارفهم وعلومهم، مع حسن الأدب والاستئذان، وفي الموطأ عن مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ أَوْصَى ابْنَهُ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! جَالِسْ الْعُلَمَاءَ وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي اللَّهُ الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ[٢].

كما أن في الابتعاد عن مجالس العلماء مفاسد كثيرة فعن محمد بن سيرين - رحمه الله - قال: «إن قوماً تركوا طلب العلم ومجالسة العلماء وأخذوا في الصلاة والصيام حتى يبس جلد أحدهم على عظمه ثم خالفوا السنة فهلكوا وسفكوا دماء المسلمين، فو الذي لا إله غيره ما عمل أحد عملاً على جهل إلا كان يفسد أكثر مما يصلح»[٣].

---

(١) الفقيه والمتفقه (١١٣٥)، والحديث أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان (٧١٥٨)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب كراهية قضاء القاضي وهو غضبان (١٧١٧)، عن أبي بكرة رضي الله عنه.
(٢) باب ما جاء في طلب العلم رقم (٣٦٧٠).
(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار (٨/ ٦١٦).

وعلى المستمع إذا سأل العالم أنْ يراعي وضوح السؤال، حتى لا يخطئ ويجيبه العالم عن غير المراد، وألاَّ يكون في السؤال فتنةٌ، ولا ينقل له كلام غيره من العلماء على وجه الفتنة والإفساد بأنَّ فلاناً يقول كذا وكذا، بل يحسن العرض في الفتاوى، وأنْ يكون غرضه قبول الحق، ولا يجادل بعد الحجة، وأنْ يقول له: جزاك الله خيراً؛ لما سبق في الحديث: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[1].

وإنَّ مما ينبغي أنْ يراعى نسبة العلم إلى ذلك العالم وعزوه إليه، بأنْ يقول: أخبرني الشيخ أو أفادني أو كتب لنا أو نحو ذلك، ويقال: «إنَّ منْ بركة العلم أنْ تضيف الشيء إلى قائله»[2].

ويقول الامام النووي – رحمه الله – وهو يتكلم عن حديث «الدين النصيحة »: «ومن النصيحة: أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنَّه له؛ فهو جديرٌ أنْ لا ينتفع بعلمه، ولا يبارك له في حاله»[3].

ومن الأدب: الاستماع إلى الجواب، والنقل التام لما يُسمع دون بترٍ لكلامه، ولا يشوِّش عليه بالاتصال بالهاتف ولا عبر السائل، ولا بالحركات ولا بالأصوات، ولا بالروائح ولا غير ذلك مما يزعجه.

قال أبو هلال: «وجعل الحكماء منزلة العلماء مثل منزلة الملوك، فقالوا: من أدب الداخل على العالم أنْ يسلم على أصحابه عامةً، ويخصّه بالتحية، ويجلس قدامه،

(١) سبق تخريجه.
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٨٩).
(٣) بستان العارفين، ص ٢٨.

ولا يشير بيده، ولا يغمز بعينه، ولا يقول بخلاف قوله، ولا يغتاب عنده أحداً، ولا يسارّ في مجلسه ولا يلحّ عليه إذا كسل، ولا يعرض عن كلامه، فإنّه بمنزلة النخلة، لا يزال يسقط عليك منها شيء ينفعك»[١].

وهذه كلها دروس للأمة ليقتدى بها مع ملاحظة أنَّ الأدب مع العلماء والتواضع لهم يجب أنْ لا يصاحبه الخضوع الخارج عن الأطر الشرعية كالانحناء لهم والسجود، إذ هذا محذورٌ شرعاً.

حقوق العلماء بعد وفاتهم:

إنَّ من حقوق العلماء بعد وفاتهم أنْ تُشهد جنائزهم، إذ كان السلف يعدُّون كثرة المصلين على جنازة الرجل من علامات الخير والقبول له؛ لذلك قال الإمام أحمد: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز»[٢]، أي: أن أئمة السنة يفقدهم الناس إذا ماتوا، ويكونون أكثر مشيعين يوم يموتون.

ولقد شهد الواقع في كثيرٍ من جنائز أهل السنة بذلك، فما سمع الناس بمثل جنازتي الإمامين: أحمد ابن حنبل، وأحمد ابن تيمية، حين ماتا، مِنْ كثرة من شيَّعهما وخرج مع جنازة كل منهما، وصلى عليهما، والمسلمون هم شهداء الله في أرضه.

وكان موت العالم عند السلف له وقعه، إذ كانوا يقولون: «موت العالم مصيبةٌ لا تجبر وثلمةٌ لا تسد»[٣]، و «موت العالم ثلمةٌ لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار»[٤]، وقال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: «لو قدرت أنْ أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت، فإنَّ موتي يكون موت رجلٍ واحدٍ،

---

(١) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، ص٨٤.
(٢) موسوعة أقوال الدارقطني (٥/ ٣٢٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٤٠).
(٣) الفردوس بمأثور الخطاب (٤/ ١٤٨).
(٤) الزهد لابن أبي عاصم (٢٦٢).

وموته ذهاب العلم»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله مبيناً عظم موت العلام على الأمة فيقول:

«لما كان صلاح الوجود بالعلماء ولولاهم كان الناس كالبهائم بل أسوأ حالاً، كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له»[٢].

وإن من حق العلماء أن يُدعى لهم بالمغفرة والرحمة، وأنْ يذكروا بالجميل، ولذا علينا ألا نغفل الثناء على علماء الأمة والدعاء لهم، ابتداءً من أئمة السلف صحابة وتابعين ومن سار على نهجهم إلى يومنا، وهذا من نهج علماء الأمة، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة، كما سبق عن الإمام الطحاوي رحمه الله.

وقد قال الإمام النووي - رحمه الله - مبيناً مكانة شيوخ المرء في العلم بأنّهم آباءٌ في الدين، وصلةٌ بينه وبين رب العالمين، وكيف لا يقبح جهل الإنسان بالوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنَّه مأمورٌ بالدعاء لهم، وبرِّهم، وذكر مآثرهم، والثناء عليهم، وشكرهم[٣].

وعلى الطلاب والمسؤولين نشر العلم الذي بذله العلماء، وورثوه مع الأمانة في نشره وإخراجه على الوجه الذي أراده مؤلفه بخدمةٍ تليق به.

وإنَّ مِنْ أعظم ما يجب أنْ ينبه عليه ويذكّر به التوحيد، والتحذير من الشرك، ومن بناء القباب والمساجد على قبوره العلماء وغيرهم، والطواف بها، وتقديم النذور لهم، إذْ كلُّ ذلك من الصور التي تتنافى مع تعاليم الإسلام، ودعوته إلى توحيد الله عز وجل، واجتناب الشرك ووسائله.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/ ٤١٨).
(٢) مفتاح دار السعادة (١ / ٦٨).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ / ٢٢).

وكذلك فليحذر من ردِّ النصوص، لمجرد أنَّ فلاناً من الأئمة قال كذا، إذ قد جاءت النصوص الشرعية مبينةً أنَّ الطاعة لأولي الأمر لا تكون على الإطلاق، وإنما تكون في المعروف، وأنَّه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، كما في حديث عَليٍّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[1]، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «السمعُ والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ أو كره، ما لم يُؤمر بمعصيةٍ، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[2].

ولهذا كان من الشرك الذي وقع فيه أهل الكتاب أنهم أطاعوا علماءهم وأحبارهم ورهبانهم طاعةً مطلقةً في كل ما يصدر عنهم من حق أو باطل، فاتخذوهم بذلك أرباباً من دون الله، كما قال تعالى عنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] وذلك صريح في قول عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي! اطرح عنك هذا الوثن» وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه»[3].

---

(١) رواه البخاري: كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد (٧٢٥٧)، ومسلم: كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء وفي غير معصية (١٨٤٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة (٢٩٥٥)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (١٨٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١/ ١٠٦)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة =

وقد تواترت النصوص عن أئمتنا الأعلام باتباع الدليل وطرح ما دونه، ومن ذلك: قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: «أجمع الناسُ على أنَّ من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يَدَعها لقول أحد»[١]، وقد اشتهر عن الإمام مالك وغيره: «كلٌّ يؤخذ من قوله ويُردُّ إلاَّ رسول الله ﷺ»[٢].

التوبة (٣٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ٩٢) ح ٢١٨ و٢١٩)، وابن جرير في جامع البيان (١٠/ ٨٠-١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٦) وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» (١ / ١٩٧ح١٩٥)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢ / ٣٤٦-٣٤٨) من طرق، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢ / ٢٢١)، وغيرهم من طريق عبد السلام بن حرب عن غُطَيْفِ بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي رضي الله عنه.

وقال الترمذي عقب تخريج الحديث: «حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين؛ ليس بمعروف في الحديث «، وفي تخريج الكشاف «للحافظ العسقلاني (٧٥/١٠٨)، و» الدر المنثور «للسيوطي (٣/ ٢٣٠) زيادة حسن على قول الترمذي. وغطيف بن أعين ذكره ابن حبان في «الثقات»٧/ ٣١١) برواية عبد السلام عنه فقط، وكذلك ذكره البخاري وابن أبي حاتم، وذكرا له في «التهذيب»٨/ ٢٥١) راوياً آخر، وهو إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، ولكنه متروك. ونقل الحافظ ابن حجر عن الدارقطني تضعيفه، وقد فصل الشيخ الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة أن الدارقطني ظن أنه رَوح بن غطيف، كما بين ذلك الذهبي بقوله في «الميزان»: «ضعفه الدارقطني وقال: روى عنه القاسم بن مالك المزني فقال: روح بن غطيف «، فتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: أظن ذا آخر».

وللحديث شاهد عن حذيفة - رضي الله عنه - إذ سئل عن هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)؛ أكانوا يصلون لهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا يحلون لهم ما حرم الله عليهم فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم فيحرمونه، فصاروا بذلك (أرباباً) «، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٧٢) ومصنفه (٧/ ١٥٦ ح:٦ ٤٩٣) وسعيد بن منصور في سننه (٥ / ٢٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى»(١٠/ ١١٦) وفي «شعب الإيمان» (٧/ ٤٥) وفي «المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي (١ / ١٩٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٩) من طرق عن أبي البختري عنه، وقال الألباني: «إسناد صحيح مرسل لأن رواية أبي البختري واسمه سعيد بن فيروز عن حذيفة مرسلة».

والحديث قد أشار ابن كثير في «تفسيره»٢/ ٣٤٨) إلى تقويته، وانظر للمزيد: «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري» (٢ / ٦٦) للحافظ العسقلاني و»تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن» (١ / ١٣٣) و»سلسلة الأحاديث الصحيحة»(ح ٣٢٩٣) و»النهج السديد» (ص٥٣).

(١) أعلام الموقعين (٢/ ٤٢١).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٨٢).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «فمَن عرض أقوال العلماء على النصوص، ووزَنَها بها، وخالف منها ما خالف النصَّ؛ لم يُهدِر أقوالَهم ولَم يهضِم جانبهم، بل اقتدى بهم؛ فإنَّهم كلَّهم أمروا بذلك، فمتَّبعُهم حقًّا مَن امتثل ما أوصوا به لا مَن خالفهم»[1].

(١) الروح لابن القيم، ٣٩٥- ٣٩٦.

الفصل الرابع

أهمية الرجوع للعلماء

وضرورة الارتباط بعلماء أهل السنة والجماعة

إنَّ لملازمة الشيوخ أهمية كبيرة تتعدى العلم إلى تعلم الأدب والأخلاق أيضاً، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «من فقْه الرجل: ممشاه، ومدخله، ومخرجه مع أهل العلم»[١].

ولقد كان طلاب العلم في الصدر الأول يتلقّون العلوم مباشرةً من أفواه العلماء والمشايخ، عبر الملازمة الطويلة لهم، وكانوا يزاحمونهم بالركب.

ولقد سئل الإمام مالك – رحمه الله –: «أيؤخذ العلم عمن ليس له طلبٌ ولا مجالسةٌ؟ فقال: لا، فقيل: أيؤخذ ممن هو صحيحٌ ثقةٌ غير أنَّه لا يحفظ، ولا يفهم ما يحدِّث؟ فقال: «لا يكتب العلم إلا ممن يحفظ، ويكون قد طلب، وجالس الناس، وعرف وعمل، ويكون معه ورعٌ»[٢].

وقد ذكر محمد بن الحسن الشيباني عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله قال: «الحكايات عن العلماء، ومجالستهم أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الفقه؛ لأنَّها آداب القوم وأخلاقهم»، وذكر عن الإمام إبراهيم النخعي – رحمه الله – أنه قال: «كنا نأتي مسروقاً، فنتعلَّم من هديه ودلِّه»[٣].

وإنَّ من أعظم مظاهر التأكيد على أهمية ملازمة العلماء أنَّه لا تستقيم حياة المسلم

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٥٩٧).
(٢) سبق عزوه.
(٣) المصدر السابق (٥٩٥-٥٩٦).

بدونهم، وخاصةً في النوازل العامة والخاصة؛ لذا قال العلماء: «إذا لم يوجد مفْتٍ في مكانٍ ما حرُم السكن فيه، ووجب الرحيل منه إلى حيث يوجد من يفتيه في أحكام الدين وما ينزل به من نوازل»[١].

وقال الإمام ابن حزم - رحمه الله تعالى -: «فرضٌ على كل جماعةٍ مجتمعةٍ في قريةٍ أو مدينةٍ أو حصنٍ أنْ ينتدب منهم من يطلب جميع أحكام الديانة أولها عن آخرها، ويتعلم القرآن كله، وما صح عن النبي ﷺ من أحاديث الأحكام... إلخ، ثم يقوم بتعليمهم، فإنْ لم يجدوا في محلتهم من يفقِّههم في ذلك كله، ففرْضٌ عليهم الرحيل إلى حيث يجدون العلماء المجتهدين في صنوف العلم، وإن بعدت ديارهم، وإن كانوا بالصين».

قال حَمَّاد بن زيد: قال أيوب: إني أُخْبر بموت الرجل من أهل السنَّة فكأني أفقد بعض أعضائي»[٢].

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «إذا انقطع عن الناس نور النبوة - أي: العلم - وقعوا في ظلمة الفتن وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم»[٣].

وذلك لأنَّ العلماء هم كما جاء عن الإمام أحمد - رحمه الله - فيما سبق من خطبته التي صدّر بها كتابه الرد على الزنادقة، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه؟ وكم ضالٍ تائهٍ قد هدوه؟ فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل

(١) كما نقله الدكتور عبد الكريم زيدان في» أصول الدعوة «، ص (١٤٧).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦١).
(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣١٠).

الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عِقال الفتنة...».

فالعلماء الذين يرجع إليهم ويحرص على ملازمتهم هم علماء الهدى الذين يسيرون على الوحيين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهم الذين ينافحون ويلتزمون بالسنة، ويميتون البدع والفتن، والذين يذبُّون عن الدين الحنيف، وذلك لأنَّ سلوك غير هذا الطريق موقعٌ بالمزالق الشديدة والمخاطر العظيمة.

ولقد بيَّن الحافظ ابن رجب - رحمه الله - أنَّ السلامة في طريق العلم إنَّما هي سلوك طريق أهله المجمع على درايتهم وهدايتهم؛ كالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيدٍ، ومن سلك سبيلهم، وأنَّ من سلك غير طريقتهم وقع في مفاوز ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به، وترك ما يوجب العمل به[1].

كما صرَّح الإمام ابن جرير الطبري أنَّ سلوك غير طريق الصحابة والتابعين إنَّما هو طريق أهل الشقاء، إذْ قال - رحمه الله - خلال تقريره لمسألة القول في ألفاظ العباد للقرآن في كتابه صحيح السنة: «وأما القَوْلُ في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابيٍّ مضى، ولا تابعي انقضى، إلا عن من في قوله الفناء والشقاء رحمة الله عليه ورضوانه وفي اتباع الرشد والهدي ومن يقوم قوله لدينا مقام الأئمة الأولى أبي عبد الله أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى»[2].

ولذا كان للتأسي بأئمة السنة والشَّبَه بهم أهميةٌ عظيمةٌ، ومن ذلك ما جاء في ترجمة الإمام أبي داود صاحب السنن أنَّ بعض الأئمة قال: «كان أبو داوود يُشَبَّه بأحمد ابن حنبل في هَدْيِهِ ودَلِّهِ وسَمْتِهِ، وكان أحمد يُشَبَّه في ذلك بوكيع، وكان وكيع يُشَبَّه في ذلك بسفيان، وسفيان بمنصور، ومنصور بإبراهيم، وإبراهيم بعلقمة،

---

(١) جامع العلوم والحكم خلال شرحه لحديث: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه».
(٢) صريح السنة للطبري، ٩.

وعلقمة بعبد الله بن مسعود، وقال علقمة: كان ابن مسعودٍ يُشَبَّه بالنبي ﷺ في هديه ودَلِّه»[١].

وذلك لأنَّ الارتباط في الهدي والدّل والسَّمْت يتبعه ارتباط بالمعتقد والمنهج، ولذا جاء عن الإمام ابن سيرين - رحمه الله -: «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»، ولعلَّه منْ هذا الوجه كان علماء السلف إذا مات عالم يقولون: «موت العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تسد»[٢].

وما أبلغ قول الإمام أبي جعفر الطحاوي - رحمه الله - في فضل علماء السلف ومن اقتفى أثرهم في قوله:

«وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير سبيلٍ».

ثم وضَّح ذلك العلامة ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - في شرحه للعقيدة الطحاوية بعد أنْ ذكر قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥١١] بأنه يجب على كل مسلمٍ - بعد موالاة الله ورسوله - موالاة المؤمنين،

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٢).

(٢) انظر: الزهد لابن أبي عاصم (٢٦٢)، وقد ورد مرفوعاً حديث: «إذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلمة، ولا يسدها شيء إلى يوم القيامة» قال فيه الحافظ السخاوي: رواه الزبير بن بكار في الموقفيات، عن محمد بن سلام الجمحي عن علي بن أبي طالب من قوله. وهو معضل، وله شواهد منها ما رواه أبو بكر بن لال من حديث جابر مرفوعاً: «موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها اختلاف الليل والنهار»، والطبراني من حديث أبي الدرداء رفعه: «موت العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تنسد، وموت قبيلةٍ أيسر من موت عالم وهو نجم طمس»، ومنها عن ابن عمر أخرجه الديلمي بلفظ: «ما قبض الله عالماً إلا كان ثغرة في الإسلامٍ لا تسد»، وثبت كما في المستدرك من حديث عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا ﴾ [الرعد: ١٤] قال: «موت علمائها». المقاصد الحسنة (١ / ٢٥) وحكم الألباني على رواية ابن عمر في السلسلة الضعيفة بالوضع (رقم ٤٤٦٣).

كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمةٍ قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإنَّ علماءهم خيارهم، فإنَّهم خلفاء الرسول من أمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا»[1].

فعليك أخي المسلم بلزوم درب العلماء، ممن يسير على طريق أهل السنة والجماعة، وفق ما كان عليه السلف، بعيداً عن الفتن والقلاقل والمحن، إذ في ذلك النجاة والسلامة لك ولدينك وللأمة جميعاً.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٥٥.

الفصل الخامس

خطر القدح في العلماء وانتقاصهم

إن الطعن والقدح في كتاب الله عز وجل، وفي النبي ﷺ وفي رسالته خطر عظيم، إذ الواجب على المسلم التصديق بما جاء في كتاب الله وما ورد عن النبي ﷺ فيما صح عنه والتسليم الكامل، والانقياد التام له، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وكذا الطعن في عدالة الصحابة - رضي الله عنهم - أمرٌ خطيرٌ، إذ يجب اعتقاد عدالتِهم جَميعًا، وعدم التفريق فِي العدالة بينهم، فلا يستثنَى أحدٌ، بِخلاف الْجُفاة والغلاة الطاعنين فِي كثيرٍ منهم، والذين يعتقدون وقوع الكفر فِي بعض الصحابة والنفاق والردة.

وقد قال الإمام أبو زرعة الرازي - رحمه الله -: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[١].

ولهذا كان من تعظيم السلف للصحابة أنَّهم يعلِّمون أبناءهم محبة أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما - كما قال مالك بن أنس- رحمه الله تعالى -: «كان صالح

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (١ / ١١٩).

السلف يعلِّمون أولادهم حب أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - كما يعلمون السورة أو السنة»[١].

كما يجب الكف والإمساك عما شجر بينهم - رضي الله عنهم - إذ ما حصل منهم إنَّما هو مَحض اجتهادٍ فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ واحدٌ.

وكذلك إنَّ الطعن والوقيعة في أئمة السلف ونهجهم من علامات أهل البدع والزيغ، ولا نشكُّ أنَّ مذهب السلف أسلمُ وأعلمُ وأحكمُ من المناهج كلها.

ومن صور الطعن بأئمة السلف والمسلمين ما جرى من المنافقين في حادثة الإفك في حقِّ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - الطاهرة البتول، المبرَّأة من فوق سبع سمواتٍ؛ لأنَّ الإفك في حقيقته طعنةٌ موجَّهةٌ لصاحب الرسالة ﷺ، ثم للرجل الثاني رضي الله عنه، ثم لعائشة رضي الله عنها.

وإنَّ القدح والطعن بالعلماء أمرٌ خطيرٌ وعظيمٌ، وذلك لما يحملونه في صدورهم من تعاليم الشرع الحكيم والدين الحنيف، ولما يتبع ذلك من آثارٍ سلبيةٍ، ولذلك لما استهزأ رجلٌ من المنافقين بالصحابة - رضي الله عنهم - قائلاً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء؛ أنزل الله عزَّ وجَّل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦][٢].

(١) مسند الجوهري (ص١١٠) كما في مقدمة موطأ الإمام مالك للدكتور محمد الأعظمي (١/ ٢٥٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤/ ٣٣٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٣١٢)، ورجاله رجال الصحيح خلا هشام بن سعد فإنه روى له مسلم مقروناً، وله شاهدٌ بسندٍ حسنٍ عند أبي حاتم، كما في» الصحيح المسند من أسباب النزول «للشيخ مقبل بن هادي - رحمه الله -.

وفي هذه الآية دلالةٌ قويةٌ واضحةٌ، وتحذيرٌ شديدٌ من الاستهزاء بالله ورسوله، وبشعائر الله وعلماء الأمة، ولو كان على سبيل اللعب والهزل.

ومن ذلك الطعن في أبي هريرة - رضي الله عنه - راوية الإسلام الأوَّل؛ من قبل أعداء السنة من المستشرقين وأذنابهم؛ لأنَّ أبا هريرة راوية الإسلام وبالطعن فيه يذهب كثيرٌ من السنة.

ويحسن بنا أن نتأمل ما سبق في بيان فضل العلماء ومكانتهم حتى نعلم خطورة الانتقاص منهم، إذ هذا ليس من طريقة أهل السنة حيث يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله تعالى-: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير السبيل»[١].

وللإمام الحافظ أبي القاسم بن عساكر كلمةٌ ساميةٌ يقول فيها: «اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه، ويتقيه حق تقاته - أنَّ لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هَتْك مُتَنَقِّصهم معلومةٌ، وأنَّ من أطلق لسانه في العلماء بالثَّلْب بلاه الله قبل موته بموت القلب[٢].

وللعلامة الشيخ طاهر الجزائري (ت١٣٣٨هـ) وهو على فراش الموت كلماتٌ رائعةٌ قال فيها - رحمه الله -: «عدوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلاتهم، وعضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد الأمة منهم، ولا تنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم».

وقال ابن الحاج - بعد ذكره حديث: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء»-: «لا شك أنَّ هذا الذي ذكره من بذاءة اللسان وهي ممنوعةٌ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٥٤.

(٢) نقلها عنه النووي في مقدمة «المجموع».

في حق آحاد عامة الناس، فكيف بها في حق العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم؟»[١].

ولهذا فإنَّ جرح العالم ليس جرحًا هيِّناً، ولكنه جرحٌ وطعنٌ يصل إلى ما يحمله العالم من العلم، ولذلك كان الطعن في العلماء بابًا من أبواب الزندقة، كما في الآثار التالية:

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتَّهمه على الإسلام، فإنَّه كان شديدًا على المبتدعة»[٢].

وقال يحيى بن معين - رحمه الله -: «إذا رأيت الرجل يتكلم في حماد بن سلمة وعكرمة مولى ابن عباس فاتهمه على الإسلام»[٣].

وقال سفيان بن وكيع - رحمه الله -: «أحمد عندنا محنةٌ، به يُعرف المسلم من الفاسق»[٤]. وقال أبو الحسن الطرخاباذي الهمداني: «أحمد بن حنبل محنةٌ، به يعرف المسلم من الزنديق»[٥].

ولقد سئل الشيخ العلامة محمد بن عثيمين - رحمه الله - عن هؤلاء الذين يقعون في أهل العلم ويتطاولون عليهم فقال: «الذي أرى أنَّ هذا عملٌ محرَّمٌ، فإذا كان لا يجوز لإنسانٍ أنْ يغتاب أخاه المؤمن وإن لم يكن عالماً فكيف يسوغ له أنْ يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين؟! والواجب على الإنسان المؤمن أنْ يكفَّ لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن

---

(١) المدخل (٤ / ٤٦٧).
(٢) تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٧).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٠٠).
(٤) تاريخ بغداد (٢ / ٣٦٨).
(٥) المصدر السابق.

﴿يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وليعلم هذا الذي ابتلي بهذه البلوى أنه إذا جرّح العالم فسيكون سبباً في ردِّ ما يقوله هذا العالم من الحق، فيكون وبال ردِّ الحق وإثمه على هذا الذي جرّح العالم؛ لأنَّ جرح العالم في الواقع ليس جرحاً شخصياً بل هو جرحٌ لإرث محمد ﷺ؛ فإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، فإذا جرح العلماء وقدح فيهم لم يثق الناس بالعلم الذي عندهم، وهو موروث عن رسول الله ﷺ، وحينئذٍ لا يثقون بشيءٍ من الشريعة التي يأتي بها هذا العالم الذي جُرح»[١].

وقال معالي الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: «وإنَّ الحطَّ من قدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو من طريقة المبتدعة، ومن مخططات أعداء الآفة للتشكيك في دين الإسلام ولإيقاع العداوة بين المسلمين، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبثِّ الفرقة بين الشباب والعلماء، كما هو الواقع الآن، فلينتبه لذلك بعض الطلبة المبتدئين الذين يحطُّون من قدر الفقهاء ومن قدر الفقه الإسلامي، ويـزهِّدون في دراسته والانتفاع بما فيه من حقٍّ وصواب، فليعتزوا بفقههم وليحـترموا علمـاءهم، ولا ينخدعوا بالدعايات المضللة والمغرضة، والله الموفق»[٢].

وبعد ما تقدَّم من بيان خطر القدح في العلماء، ينبغي أن نعلم أنا لا ندَّعي العصمة لهم، وعدم الوقوع لأحدهم في الخطأ، فهم بشرٌ يخطئون ويصيبون، وهم دائرون في اجتهاداتهم بين الأجر والأجرين، مصداقاً لحديث عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا

---

(١) العلم والدعوة (٥/ ١٥٩).
(٢) كتاب التوحيد للفوزان (١ / ١٣٤).

حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(١).

قال شارح الطحاوية - رحمه الله -: «فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر»، إلى أن قال: «وكلهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، ولكنْ إذا وجد لواحدٍ منهم قولٌ قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بدَّ له في تركه من عذرٍ، وجماع الأعذار ثلاثة أصنافٍ:

أحدها: عدم اعتقاده أنَّ النبي ﷺ قاله.

الثاني: اعتقاده أنَّه أراد تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاده أنَّ الحكم منسوخٌ.

فلهم الفضل علينا، والمنة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]»(٢).

ولقد صنف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - رسالةً عظيمةً في بابها بعنوان: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» أبان فيها أسباب الاختلاف في الاجتهاد بين الأئمة، والأعذار في ذلك.

وأما كيفية الواجب في التعامل مع العلماء في حالة خطأ أحدهم فتكون بالتثبت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٧٣٥٢).
ومسلم: كتاب الأقضية، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٧١٦).

(٢) شرح الطحاوية، ص ٥٥٥.

من صحَّة ما نسب إليهم، ونصحهم بعد ذلك بالأدب وبالوجه اللائق بمكانتهم، دون انتقاصٍ لمنزلتهم، وإنَّ للنصيحة منزلة عظيمة، وهي دأب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقد قال الرسول ﷺ: «الدين النصيحة»[(١)]، ولكن النصيحة لها ضوابط وأصول يسار عليها، وإلا خرجت عن طورها، وأتت بنتائج لا تتلاءم مع مشروعيتها.

ولقد بيَّن الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - ما يتعلق بنصح العالم فقال: «وإذا كان مراد الرادِّ على العالم إظهار عيبه، وتنقصه، وإظهار قصوره في العلم، ونحو ذلك؛ كان محرماً، سواء كان ردُّه ذلك في وجه من ردَّ عليه أو في غيبته، وسواء كان في حياته أو في موته، وهذا داخلٌ فيما ذمَّه الله تعالى في كتابه، وتوعَّد عليه من الهمز واللمز، وداخلٌ أيضاً في قول النبي ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ». وهذا كله في حق العلماء المقتدى بهم في الدين، فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم. وليس كلامنا الآن في هذا القبيل والله أعلم»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

(٢) الفرق بين النصيحة والتعيير (ص ٨)، والحديث رواه أحمد ١٨٩٤٠ وأبو داود كتاب الأدب، باب في الغيبة (٤٨٨٠) وغيرهم عن أبي برزة الأسلمي. وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار»ح١٩١١: إسناده جيد، وحسن إسناده الألباني في ٧٩٨٤ في صحيح الجامع.

الفصل السادس
أسباب التقصير في حقوق العلماء
والآثار الناتجة عنه

بعد معرفتنا لما لعلمائنا من حقوق أرشد إليها الشرع الحكيم، واطلاعنا على نماذج من أدب أعلامنا تجاههم، وما للتقصير فيهم من آثار وخيمةٍ؛ يجدر بنا أنْ نعرف أسباب التقصير في حقوق العلماء، وذلك لتساعد في معالجة الداء، ووضع الأمور في نصابها.

وإنَّ المتأمل فيها يجدها تعود إلى عدة أمور، أبرزها[١]:

أولاً: الجهل بحقيقة العلوم الشرعيّة، وما للعلماء من مكانة ومنزلة اختصَّ اللهُ - تعالى - بها ورثة أنبيائه ورُسُله، من التأدب معهم، والغفلة عن الأحكام الشرعية الناتجة عن التقصير في حقوق العلماء وما يترتب على ذلك من آثار سيئة كثيرة.

ثانياً: تشييخ الصحف، وافتقاد القدوة، إذ حذر بعض أئمة السلف من تلقي العلوم الشرعية من خلال الكتب والصحف فقط، ومن تلك الأقوال:

قال الإمام أبو زرعة: «لا يفتي الناس صحفي ولا يقرئهم مصحفي»[٢].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام»[٣].

وفي «تاريخ ابن خلكان»: «المجذوب: هو من لا شيخ له»[٤].

وقد قيل: «من كان شيخه كتابه، فخطؤه أكثر من صوابه»، وقال بعضهم: «من

---

(١) انظر للبسط: «الإعلام بحرمة أهل العلم»، ص ٣٣٥.
(٢) الفقيه والمتفقه (٨٤٤).
(٣) آداب العلماء والمتعلمين، ص ١٤.
(٤) انظر: «الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام»، ص ٣٣٤.

أعظم البلية: تشييخ الصحيفة»[1].

ثالثاً: استعجال التصدر قبل تحصيل الحد المطلوب من العلم الشرعي بحجة الدعوة والتبليغ.

وقد جاءت آثارٌ عديدةٌ في خطورة التصدر قبل الأوان منها قول الإمام الشافعي- رحمه الله -: «إذا تصدَّر الحدث فاته علمٌ كثيرٌ»[2].

ولا شك أنَّ تصدُّر المرء قبل أوانه للفتوى والخوض في أمور الدين من إسناد الأمر لغير أهله، إذ قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

و قوله ﷺ: «إنَّ شفاء العي السؤال»[3].

وقد سبق قول الإمام الشاطبي - رحمه الله - أنه لا يصح السائل لا يصح أنْ يسأل من لا يعتبر في الشريعة جوابه؛ لأنَّه إسناد أمرٍ إلى غير أهله، والإجماع على عدم صحة مثل هذا.

وعن مالك قال: «أخبرني رجلٌ دخل على ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فوجده يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أدخلت عليك مصيبة؟ فقال: «لا؛ ولكنْ استفتي مَنْ لا علم له، وظهر في الإسلام أمرٌ عظيمٌ، ولبعض من يفتي ها هنا أحقُّ بالسجن من السُّرَّاق»[4].

رابعاً: قلّةُ علماء الشريعة حقًّا، وتناقصهم في كثير من الديار الإسلامية، وهذا مصداق لما أخبر به النبيُّ ﷺ من أنهم اتخذوا عند فقدهم رؤوساً جُهَّالاً، فضلّوا

(١) المصدر السابق، ص ٣٣٥.
(٢) فتح الباري لابن حجر (١ / ١١٨).
(٣) حديث صحيح وقد سبق تخريجه.
(٤) جامع بيان العلم (ح١٤٦٩).

وأضلّوا، كما في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»[١].

خامساً: افتقاد القدوة الصالحة وقلّتها في بعض المجتمعات، وهو ما أسهم في عدم إنزال العلماء منزلتهم وإعطائهم قدرهم الواجب واللائق بهم.

سادساً: تعمُّد بعض أعداء الإسلام من الكفرة وأذنابهم من العَلْمانيين تشويه صورة علماء الشريعة بمختلف الوسائل المتاحة لهم في وسائل الإعلام المتعددة؛ لغرض تجفيف منابع العلم الشرعي، وصدِّ الناس عن تعلُّمه، وإضعاف صلة الناس بعلماء الأمة.

سابعاً: الرجوع للوسائل غير الموثوق بها من قنواتٍ مشبوهةٍ، ومواقع مجهولةٍ، سواء أكان هؤلاء من صغار الطلبة أو من المثقّفين ثقافةً غير شرعيّةٍ الذين ظنّوا أنَّ علمهم الذي تعلّموه، وذكاءهم الذي قادهم إلى التفوق في بعض العلوم؛ كافٍ لأنْ يزاحموا علماء الشريعة وفقهاء الأمة.

وأما الآثار السلبية الناتجة عن إهمال حقوق العلماء؛ ففيما يلي أبرزها:

عدم تعظيم شعائر الله وحدوده، وذلك لأن الجهل بحقوق العلماء من لازمه عدم معرفة العلم الشرعي الصحيح من خلال سُبله وقنواته وهذا باب خطير.

وقوع الناس في الشرك بصوره وأنواعه بسبب الجهل وعدم رجوعهم للعلماء الربانيين، الذين يبينون لهم أعظم ما أرسل الله به الرسل، وهو توحيده سبحانه وتعالى، وأخطر ما حذروا منه وهو الشرك بالله قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس (٧٣٠٧).

أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

تجرؤ الناس على الفتوى وتصدرهم الأمور العظام من النوازل وغيرها، ونتيجة لذلك يقع الناس في بلايا وطوامّ ومخاطر عظام.

تنفير العلماء عن الناس، وجعل ذلك سبباً في زهد بعضهم في خدمة الأمة وتعليمهم لهم.

إيقاع المجتمع المسلم في التكفير بغير حقٍّ، وحصول الدمار والتفجير وغير ذلك من المفاسد العظيمة؛ نتيجة عدم الرجوع للعلماء بسبب عدم فهم نصوص الشرع في ذلك فهماً سليماً وفق ما كان عليه نهج السلف.

الوقوع في الغلو في العبادات وهو ما ينتج عنه انطباعاتٌ غير جيدةٍ عن الدين وأهله، وهو ما يكون له سببٌ كبيرٌ في التنفير عن دين الإسلام وتعاليمه السمحة.

حصول التفكك الأسري في المجتمع؛ نتيجة عدم معرفة الحقوق والواجبات الشرعية التي مدارها على العلم الشرعي.

الزهد في طلب العلم الشرعي وتحصيله، وعدم التلقي عن أهل العلم الذين تحصل السلامة بالتلقي عنهم - بإذن الله - من الفتن وغيرها.

إيقاع المجتمع المسلم في حالة خطيرة من الفوضى وانعدام الأمن.

الخاتمة

أحمد الله سبحانه على توفيقه لهذا البحث الوجيز، الذي تجلَّى خلاله - فيما أرجو - ما يجب تجاه علمائنا من محبتهم وتوقيرهم، ونصرتهم والدعاء لهم وخطورة الإخلال بذلك والتنقص منهم.

وأرى ضرورة التوصية بما يلي:

- حضور الدروس والدورات العلمية في العلوم المختلفة التي يدرس فيها العلماء؛ لما في من الأمان من الفهم السقيم.
- إسهام الدول والمسؤولين وأهل الخير في نشر كتب التراث ومؤلفات علماء الأمة.
- ضرورة دعم المواقع الخاصة بكبار العلماء على شبكة المعلومات والاستفادة منها.
- عدم الاعتماد على الأشرطة المسجَّلة للعلماء دون مراجعتها من قبلهم واعتمادها، حتى لا تفهم فهماً غير سليم.
- عدم التعرض للعلماء، لما يمكنٍ أنْ يقع من خطأ من أحدهم على المنابر؛ لما يفضي ذلك إلى الزهد في العلماء وانتقاص شأنهم، بل يعالج الخطأ بالسبل الشرعية.
- عدم اللجوء إلى تلقي العلوم الشرعية عن غير المؤهلين، وغير العلماء ذوي المنهج الصحيح وفق نهج السلف.
- عدم اتخاذ المواقع المجهولة رافداً من روافد العلم الشرعي.

■ ضرورة أنْ يضاف في مناهج التعليم تعميق قدر العلماء وتعظيمهم وبيان مكانتهم.

■ على الخطباء والمدرسين الاهتمام بهذا الجانب في خطبهم ودروسهم.

■ على الدول الإسلامية أنْ تحثَّ وسائل الإعلام المختلفة على تحمُّل المسؤولية الملقاة على كاهلها في بيان قدر العلماء وخطر الحطِّ من شأنهم، وأنْ لا تفتح المجال في وسائلها لما يتعارض مع ذلك.

■ على أولياء الأمور تربية أبنائهم التربية الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة وحثِّهم على احترام العلماء وتبجيلهم.

واللهَ أسأل أن يوفقنا جميعاً للعمل بكتابه الكريم، وبسنَّة نبيه الأمين، ولمعرفة قدر علماء سلف الأمة وخيارها، ومن سار على نهجهم، وأن يرزقنا حسن الأدب معهم إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

فهرس المصادر والمراجع

١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، نشر دار الوطن.
٢- الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى.
٣- أخلاق العلماء لمحمد بن الحسين الآجري، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.
٤- أخلاق حملة القرآن للآجري، تحقيق: الألفي الإسكندري، نشر دار الصفا والمروة بالإسكندرية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٥- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦- الاستذكار لما في الموطأ من المعاني والآثار، لأبي عمر ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض.
٧- إسعاف المبطأ برجال الموطأ، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، نشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩- ١٩٦٩هـ.
٨- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى: ١٣٢٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٩- أطراف الغرائب والأفراد، لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، دار الكتب العلمية.
١٠- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، للشيخ صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية:١٤٢٢هـ.

١١- أعلام الموقعين عن ربّ العالمين، لأبي عبد الله محمّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرزاق سعد، دار الجيل، ١٩٧٣هـ.
١٢- الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى:١٤١٩هـ.
١٣- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لسراج الدين ابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبي الغيط وآخرين، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٤- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحافظ ابن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: الدكتور حسين أحمد الباكري، الطبعة الأولى:١٤١٣هـ.
١٥- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، للحافظ ابن القطان الفاسي، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، الناشر دار طيبة الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٦- التاريخ الكبير، لأبي عبد الله البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١٧- تاريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١٨- تاريخ دمشق لابن عساكر الدمشقي، دار الفكر للنشر والتوزيع.
١٩- التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام أبي زكريا بن شرف النووي، تحقيق وتعليق: محمد الحجار، دار ابن حزم.
٢٠- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ المزي، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٢١- تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، لعلوي السقّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.
٢٢- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: عبدالله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ.

٢٣- تَدريب الرَّاوي في شرح تقريب النَّواوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار العاصمة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ.
٢٤- التدوين في أخبار قزوين، لعبد الكريم القزويني، تحقيق: الشيخ عزيز الله العطاردي، طبع عام ١٤٠٤هـ.
٢٥- تذكرة الحفاظ، للإمام الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٢٦- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لابن جماعة الكناني.
٢٧- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، لابن شاهين.
٢٨- الترغيب والترهيب، للمنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
٢٩- تصنيف الناس بين الظن واليقين، للدكتور بكر أبي زيد، دار العاصمة للنشر، طبع عام ١٤١٤هـ.
٣٠- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٣١- تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: د.عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
٣٢- تفسير السراج المنير، لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة مزار مصطفى الباز، مكة - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
٣٤- تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمّد السّلامة، دار طيبة، ١٤٢٢هـ.
٣٥- تفسير سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبدالله آل حميِّد، دار العصيمي للنشر، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ.

٣٦- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٧- تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، نشر دار الرشيد بسورية، حلب.

٣٨- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ.

٣٩- التكفير أخطاره وضوابطه، للأستاذ أحمد بو قرين، مطبوع على الآلة الكاتبة، لم ينشر.

٤٠- التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ.

٤١- تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله من الأخبار، للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور ناصر سعد الرشيد وعبد رب النبي، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز آل سعود.

٤٢- تهذيب الأسماء واللغات للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٤٣- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت.

٤٤- تهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٤٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: العلامة عبد الرحمن السعدي، تقديم: الشيخين: عبد الله بن عبدالعزيز بن عقيل ومحمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية:١٤١٧هـ.

٤٦- التيسير بشرح الجامع الصغير، للإمام الحافظ عبد الرؤوف المناوي، نشر مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ.

٤٧- الثقات لابن حبان البستي، نشر مؤسسة الكتب الثقافية.

٤٨- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

٤٩- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ.

٥٠- الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم للحافظ ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة:١٤١٧هـ.

٥٢- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري، تحقيق: أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، نشر مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٣- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة عام ١٤٢٣هـ.

٥٤- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر الخطيب أحمد بن علي البغدادي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة.

٥٥- الجرح والتعديل ابن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى:١٣٧١هـ.

٥٦- حديث: «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي» رواية ودراية، للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد، ضمن مجموع مؤلفاته، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ.

٥٧- حلية طالب العلم ضمن المجموعة العلمية للشيخ بكر أبي زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.

٥٨- الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٩٩٣م.

٥٩- الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية.
٦٠- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ.
٦١- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.
٦٢- الزهد، لابن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة.
٦٣- سلسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
٦٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، ١٤١٥هـ.
٦٥- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق وتخريج: الدكتور باسم الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٦٦- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله القزويني، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق: محمد نزار عبد الباري.
٦٧- السنن الكبرى، للإمام البيهقي، نشر دار الفكر.
٦٨- سنن النسائي ضمن التعليقات السلفية على سنن النسائي، المكتبة السلفية بلاهور باكستان، طبع عام ١٤٢٢هـ.
٦٩- سير أعلام النبلاء، للذَهَبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
٧٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، للحافظ ابن القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: الدكتور أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الطبعة الثالثة: ١٤١٥هـ.

٧١- شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية.

٧٢- شرح سنن أبي داود، للشيخ عبد المحسن العباد، مفرغ في المكتبة الشاملة.

٧٣- شرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة لبنان، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٧٤- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية.

٧٥- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

٧٦- صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)، ترتيب: ابن بلبان الفارسي، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى:١٤٠٧هـ.

٧٧- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ.

٧٨- صحيح الترغيب والترهيب للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: ١٤٠٢هـ

٧٩- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: ١٤٠٢هـ.

٨٠- الصحيح المسند من أسباب النزول، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

٨١- صحيح سنن أبي داود للألباني، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.

٨٢- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي.

٨٣- صحيفة الشرق الأوسط، العدد: ٨١٨٠.
٨٤- صريح السنة للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق: بدر بن يوسف المعتوق، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ، مكتبة أهل الأثر، الكويت.
٨٥- ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير وضوابطها، محاضرة للشيخ صالح الفوزان.
٨٦- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية للإمام أبي الفرج الجوزي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، نشر إدارة العلوم الأثرية، باكستان، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ.
٨٧- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لأبي الحسن علي بن عُمَر الدارقطني، تحقيق وتخريج: د.محفوظ الرحمن زين الله، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج: محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ.
٨٩- الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٠٦هـ.
٩٠- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.
٩١-كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للشيخ إسماعيل العجلوني، تصحيح وتعليق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٩هـ.
٩٢- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ.
٩٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.
٩٤- لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية: ١٣٩٠هـ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٩٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٠٢هـ.

٩٦- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبع: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، عام ١٤١٦هـ.

٩٧- المجموع شرح المهذب، للشيخ زكريا النووي.

٩٨- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٩٩- المدخل إلى السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

١٠٠- المستدرك على الصحيحين في الحديث لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري وفي ذيله تلخيص المستدرك، نشر مكتبة النصر الحديثية، الرياض.

١٠١- مسند أبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٠هـ.

١٠٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ.

١٠٣- مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ.

١٠٤- مسند الشهاب، لأبي عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ.

١٠٥- المسند المعلل الكبير لأبي بكر أحمد البزار، تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.

١٠٦- مشكاة المصابيح، تأليف: محمد الخطيب التبريزي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية: ١٣٨٠هـ.

١٠٧- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

١٠٨- المعجم الكبير الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٠٩- المعجم للإمام ابن الأعرابي، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم، دار ابن الجوزي.

١١٠- معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١١١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٢- مكارم الأخلاق للطبراني، تحقيق: الدكتور فاروق حمادة، طبع الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والنشر، بالسعودية.

١١٣- من هم العلماء، للشيخ عبد السلام البرجس، منشور على موقع الشيخ البرجس، عبر الشبكة العنكبوتية.

١١٤- المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله، للإمام ابن الجارود، دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى:١٤٠٧هـ.

١١٥- المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان: جمع عادل الفريدان، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٦- موسوعة أقوال الدارقطني، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري وآخرين.

١١٧- موطأ الإمام مالك، تحقيق: الدكتور محمد بن مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ، طبع على نفقة ١١٨- مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.

١١٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٣٨٢هـ.

١٢٠- نصيحة أهل الحديث للخطيب البغدادي، تحقيق: عبد الكريم أحمد الوريكات، نشر مكتبة المنار - الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢١- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي طاهر أحمد الزاوي، نشر المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٣٨٣هـ.

١٢٢- النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد، لجاسم الفهيد الدوسري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٢٣- نوادر الأصول في أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، سنة النشر ١٩٩٢م.

*   *   *   *   *